آن هامبسون

السعادة في قفص

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE FAIR ISLAND



روايات عبير

منذ صدور هذه الروايات في العالم العربي، بعدما طالعها القراء عبر جهات الأرض الأربع، ونحن نتلقى التهاني والتشجيع ورسائل الشذى الطيبة من كل مكان.

لأن هذه الروايات بطاقات سفر ذهاباً فقط الى عالم النقاء العاطفي وصفاء الأحلام، ولأنها لمسة نسيم بالغة الرقة، ورفيقة المطالعة المفضلة لدى الملايين في العالم كله.

اربطوا حزام الأمان فالرحلة الى عالم الحب تبدأ في الصفحة التالية!



١ ـ فكرة ذابلة

استرخت الخالة سو في جلستها على الأريكة المصنوعة من شعر الخيل، ونظرت إلى ابنة أختها، قائلة:

«أنا لا أوافق على هذه الزيارات إلى استيل إنها تجعلك تشعرين بعدم الاستقرار. هل ستذهبين حقاً الثلاثاء المقبل؟»

أجابت آلين وهي تبتسم:

«بالطبع سأذهب بعد الانتهاء من عملي، ولذا لن أكون معكم على العشاء».

ثم أضافت:

«إن استيل شقيقتي برغم أننا مختلفتان، إلاّ أنني لا أحب أن أفقد الصلة بها».

استغرقت آلين في التفكير وقد ظلل الأسف عينيها الجميلتين الزرقاوين المائلتين للون الرمادي. كانت فيما مضى هي وشقيقتها متقاربتين أشدّ التقارب وكم استمتعتا باللعب والسخرية من أصدقائهما لأنهما توأمان!

قالت الخالة سو:

«إنكما متشابهتان تماماً في الشكل، ولكنكما مختلفتان تماماً في الأمزجة والطباع. وهذا يبدو غير معقول. إن استيل امرأة لعوب!»

لم ترد آلين على ذلك وأضافت السيدة العجوز:

«أعلم أنك لا تحبّين أن أستعمل هذا التعبير، ولكنه ليس كافياً لوصفها».

«لقد تغيّرت الأمور منذ كنت صغيرة يا خالتي. أصبح من الطبيعي أن يكون للواحدة أصدقاء».

«بالجملة؟»

«نعم بالجملة».

كانت آلين تقوم برتق أحد جواربها. وتنهدت وهي تقول:

«لو كان لي صديق لأرسل لي ملابس جديدة، ولما اضطررت لأن أقوم بهذا العمل. إني أكره رتق الجوارب».

ظهر الاضطراب على خالتها فجأة.

«هذه ليست أول مرة أسمعك تتكلمين بهذه الطريقة. أرجو ألاّ تكوني جادّة فيما تقولين».

هزّت السيدة العجوز رأسها واستطردت تقول قبل أن تستطيع آلين إجابتها:

«لا، لا أستطيع أن أتصورك مع صديق. إنّ أخلاقياتك أعلى من ذلك».

«نعم ولكنها أصبحت موضة قديمة».

وقطّبت آلين وهي تنظرُ إلى الجزء الذي أصلحته ثم تنهّدت مرة أخرى:

«هذا الجورب يجب أن يكفيني حتى الأسبوع المقبل. إن جنكس تأخذ كل نقودي».

«كان يجب أن تجدي من يتبنّاها قبل أن تتعلقي بها إلى هذه الدرجة».

«نعم لسوء الحظ ولذلك فنحن نحتفظ بها. يا لهؤلاء الرجال!»

قالت ذلك وهي تخبط بقبضتها الصغيرة على ذراع الأريكة.

«إن كيت قد مات. لذلك لا داعي لأن نبدأ في اتهامه».

«إنك طيبة القلب أكثر من اللازم. أية فتاة أخرى ما كانت تسمح لرجل أن يلقي عليها طفلته بهذه الطريقة؟ من الجائز أن صغر سنك في ذلك الوقت هو السبب كان عمرك سبعة عشر عاماً فقط».

واستغرقت السيدة العجوز في أفكارها ثم استمرت قائلة:

«لقد مرّت خمس سنوات على ذلك. كم يمر الوقت بسرعة. خمس سنوات!»

ولكن الغريب أنّ صوتها الهادىء لم يكن ينم عن أي أسف.

لم تقل آلين شيئاً ولكن انتابها خوف غريب، قالت الخالة سو لاحدى الجارات أنها مستعدة تماماً لاستقبال الموت. وأجفلت السيدة العجوز من الألم وهي تحرك ظهرها، ولكنها استقرت في جلستها مرة أخرى، ونظرت لآلين نظرة غريبة وسألتها إذا أحبّت كيت حقاً في يوم من الأيام. فقالت آلين:

«لا أظن ذلك. كنت أشعر بالأسف من أجله عندما ماتت ربيكا وهي تلد جنكس ولهذا أخذت الطفلة. وأنت تعلمين أن كيت كان يدفع لي لأترك عملي وأعتني بها، وطلب مني أن أتزوجه بعد انقضاء فترة مناسبة من الوقت. وقد وافقت من أجل الطفلة. كانت لطيفة جداً وبمجرد أن حملتها لم أستطع تركها. إني أحب الأطفال كما تعلمين، ولذلك وعدت أن أتزوج كيت».

وسكتت آلين وهي تتذكر الماضي، كان عمرها سبعة عشر عاماً، فتاة مرهفة القلب عندما صدمتها وفاة أعز صديقة لها والتي تكبرها بعام ونصف فقط. وكيت حطمه الحزن، أو على الأقل هكذا بدا، وكانت آلين تحاول مواساته. وتوسّل إليها والدموع تنهمر من عينيه أن تعتني بجنكس ووافقت آلين، التي كاد الحزن يقتلع قلبها، بلا تردد أن تتولىَ العناية بالطفلة. وطلب منها كيت حينذاك أن تترك عملها ووعد أن يعوّضها مادياً، لأنه يكسب كثيراً من المال. قالت آلين وصوتها يقطر بالمرارة:

«لقد أخذت الطفلة وليس الرجل، لم أتوقع أبداً أن يخدعني كيت ويهرب بهذه الطريقة، وأقسمت حينذاك أنه إذا واتتني الفرصة لأن أجعل أي رجل يدفع ثمن ما اقترفه كيت في حقي، ألاّ أتردد في ذلك. ولكن الفكرة ذبلت مع الزمن».

وطرفت عيناها وارتعش فمها الجميل قليلاً. ولم تسمح لنفسها بالشعور بالشفقة على نفسها ولكنها أحياناً، رغماً عنها، تفكر في الصفقة الخاسرة التي تركها لها كيت، ولم يكتف بأن يخدعها هي، ولكنه خدع زوجته أيضاً، لأنه كان على علاقة بأخرى في الوقت الذي كانت زوجته فيه حاملاً في جنكس.

قالت الخالة سو في غضب:

«تلك الفتاة التي هرب معها حقيرة. كانت تعلم أنه ترك جنكس معك».

وحاولت ألين تهدئتها خوفاً عليها من أي انفعال قد يؤذيها. ولكن السيدة العجوز استطردت قائلة:

«كان يعلم ما يفعله. وتأكد بأنه وجد الأنسانة الساذجة التي لن تبلّغ الشرطة عنه!»

«ويعلم أنك لن تفعلي ذلك أنت أيضاً».

لم تستطع ألين إلاّ أن تذكرها بذلك.

«تكلمت كثيراً عن الذهاب للشرطة عندما علمنا بهربه مع تلك الفتاة، ولم تفعلي شيئاً. كنت خائفة مثلي، أنه في حالة لو أبلغنا الشرطة سيأخذون جنكس ويضعونها في ملجأ للأطفال اليتامى».

قالت الخالة سو مدافعة عن نفسها:

«حسناً، كانت طفلة صغيرة تأسر القلوب...ولكنها لم تكن جميلة».

«كانت جميلة يا خالتي!»

«هذا رأيك دائماً يا عزيزتي. ولكن ذلك النمش على وجهها وأنفها الصغير الأفطس! أما عيناها فجميلتان...إني أعترف لك بذلك. إنهما واسعتان ومائلتان عند الأطراف، آه نعم كانت طفلة جذابة وهادئة».

«لم نكن نشعر أن لدينا طفلة في المنزل».

ردّت ألين وهي تلوي قسمات وجهها:

«نعم كان ذلك قبل أن تبدأ في الحركة، ولكننا الآن نشعر بالتأكيد أن هناك طفلة في المنزل!»

«لو كنا فقط علمنا بتلك الحادثة التي قتل فيها كيت، كنّا قد فعلنا شيئاً للحصول على إعانة من الدولة من أجل الطفلة. ولكن لسوء الحظ لم نسمع بموته إلاّ بعد ثلاث سنوات من حدوثه».

هزت ألين رأسها وقالت:

«لم يكن من الممكن أن نطالب بذلك. وإنك تعلمين جيداً أننا نخالف القانون بإبقاء جنكس معنا، فنحن لم نتبنّاها وكان المفروض أن نبلّغ الشرطة أو السلطات المحلية بمجرّد أن ذهب كيت. ليس من حقنا أن نصمت كما فعلنا. أما لو كنت تزوجت كيت فكان الوضع سيختلف. إذ يصبح من حقي أن أحتفظ بها».

ردّت الخالة سو بعنف:

«كان الوضع سيتغيّر من عدّة نواح. كنت ستحصلين على معاش لك كأرملة وإعانة للطفلة. أما الآن فأنت تقتلين نفسك في العمل لتستطيعي إعالة الطفلة وتضحّين بنفسك. وفي الوقت نفسه لا تستطيعين المطالبة بشيء. هذا ظلم إنني أفقد صوابي يا آلين».

نظرت آلين للوجه العجوز المتغضن بقلق وقالت:

«هدئي من روعك يا عزيزتي... لقد اتخذت القرار، ربما كنت أصغر من أن أتخذ مثل هذا القرار، ولكني لم أندم على ذلك، ولن أندم».

استمرّت الخالة سو تقول غير آبهة لمقاطعة آلين لها:

«إن ذهابك لاستيل ومشاهدتك لكل مظاهر الترف التي تعيش فيها، والتي تصفينها لي عند عودتك لا يساعدك. ولكنك كنت دائماً الصغيرة البلهاء التي تقدّم كل التضحيات. إن هذا لا يفيدك وأظن أنك لا تستطيعين شيئاً إزاء ذلك لأن هذه هي شخصيتك».

وتوقفت عن الكلام وازداد تقطيبها وهي تنظر إلى ابنة أختها التي تركز اهتمامها على الفتق الطويل في جوربها. كان رأسها محنياً ووقعت نظرة الخالة سو على رقبتها الجميلة وشعيراتها الصفراء الذهبية التي تضيء كنقط من النور تحت أشعة الشمس المتدفقة من النافذة. أما شعرها الكثيف اللامع ذو اللون الأصفر الذهبي فكان يسقط بحنان على وجهها ويخفيه قليلاً. وتنهدت السيدة العجوز واستغرقت في التفكير. لقد حضرت إليها آلين وهي في السادسة عشرة

من عمرها عند وفاة والدها، وكانت والدتها قد توفيت قبل ذلك بخمس سنوات أما شقيقتها استيل فانتقلت إلى شقة إحدى صديقاتها في لندن. وبرغم أنها لم تفقد الاتصال بآلين إلاّ أن الروابط بينهما لم تكن وثيقة. نظرت آلين إلى أعلى. كانت نظرة خالتها مفكرة. وكانت تهز رأسها بشكل يكاد يكون غير ملحوظ.

«ماذا بك يا عزيزتي؟»

نظرت إليها آلين بحب، وقالت قبل أن تستطيع الخالة سو الرد عليها:

«لا يهم، قد أستطيع اقتناص ذلك الرجل الغني الذي أتكلم عنه أحياناً. ياه! ألن يكون ذلك رائعاً أن يتمتع المرء ببعض الرفاهية!»

عاد القنوط إلى جبين السيدة العجوز التي قالت لآلين بطريقتها الصريحة إن الفتيات المحترمات لا يتكلمن عن اقتناص الرجال. كما نصحتها بأن تصرف النظر تماماً عن فكرة الحصول على زوج غني ببساطة، لأن الأزواج الأغنياء يبحثون دائماً عن زوجات غنيات. ثم استمرت تقول بشيء من القلق:

«في كل الأحوال، أية فرصة لديك لمقابلة رجل غني أو فقير؟ إنك لا تخرجين أبداً إلاّ في تلك المرات النادرة التي تزورين فيها استيل سيئة السمعة».

«إنك تعلمين يا خالتي أني لا أستطيع الخروج. أولاً لأني سأحتاج لملابس لائقة. وثانياً لأن ليس لديّ النقود التي أنفقها على الخروج. عندي ما هو أهم لأنفق نقودي عليه!»

جنكس!»

«إنها تستحقّها».

لم تستطع الخالة سو أن ترد برغم غضبها. فإن تعبير وجهها بدأ يرق وهي تنظر إلى صورة صغيرة موضوعة بين الصور في الركن.

قالت آلين وهي تبتسم ولكن بلا تفاؤل:

«قد أقابل ذلك الرجل الغني عن طريق استيل».

فردّت الخالة سو بحدّة:

«أرجو مخلصة ألاّ يحدث ذلك. إنّ أنواع الرجال الذين تعرفهم استيل لن يتزوجوك. فهم جميعاً فاسدون».

وهزّت آلين كتفيها قائلة:

«إن هذا صحيح على ما أظن. لم تكن استيل تسعى إلى الزواج لذلك لم يكن يهمّها أنّ الرجال الذين تعرفهم لا يبحثون إلاّ عن المتعة العابرة».

«إن ما تحتاجينه هو رجل لطيف متزن يكون مخلصاً لك».

«مخلص؟»

هزّت آلين رأسها بحزن وقالت:

«هل يمكن أن يتوقع المرء أن يجد رجلاً مخلصاً في هذه الأيام مع كل الاغراءات التي توجد أمامهم في كل وقت؟»

«الرجل المستقيم يستطيع أن يقاوم الاغراء».

ثم أضافت الخالة سو بحزم:

«والرجل الذي ستحصلين عليه يا عزيزتي، سيكون قد انتهى من مغامراته واستعدّ للاستقرار».

«إنها مثل عليا وأحلام».

«إنّ من سيفوز بك سيكون سعيد الحظ لحصوله على فتاة طيبة. وإذا كان لديه أي تفكير سليم فهو لن يجازف بفقدك».

وضعت آلين الابرة والخيط في علبة الحياكة وقالت:

«إن لديّ شعوراً أني لن أتزوج أبداً ولذلك فموضوع الاخلاص لا يشغل بالي كثيراً».

ومع ذلك سمحت لخيالها أن يتطلق. لو لم تكن قد تعرّفت على ربيكا و كيت لكانت الآن حرّة كأية فتاة في سن العشرين، فتنطلق مع أمثالها من الشباب في سعادة وعدم مبالاة. وتتبع الطريق الذي اتخذته أغلب

زميلاتها في الدراسة. تخطب وتتزوج. إن اثنتين من صديقاتها أصبح لديهما أطفال، وأخرى تزوّجت من شخص كندي وتعيش حياة سعيدة في مزرعة. ورابعة تقضي وقتاً ممتعاً في مصر مع زوجها الذي يعمل في السفارة هناك.

وكانت الخالة سو تقول:

«لن تتزوّجي أبداً! هذا كلام فارغ. يجب أن تخرجي أكثر يا عزيزتي. إنّ لديّ شيئاً من المصاغ أنوي بيعه يمكنك أن تأخذي ثمنه».

«لن أتركك تبيعين مصاغك لتعطيني المال لأبعثره».

قالت الخالة سو بضيق:

«إني أكره هذه الكلمة فأنت تعتبرين أيّ نقود لا تنفق عليّ أو على جنكس أو على البيت تبذيراً. لقد استعملت هذه الكلمة في الأسبوع الماضي عندما اشتريت لنفسك خفاً. آن الأوان لكي تنفقي قليلاً على نفسك».

لم تقل آلين شيئاً وهي تضع علبة الحياكة في الخزانة واستطردت الخالة سو تقول:

«أريدك أن تخرجي وتقابلي الناس».

أحسّت آلين بالقلق، هل في نبرة السيدة العجوز شيء من اليأس أم أن آلين تتخيّل ذلك؟ شعرت آلين أكثر من مرة في الأيام الأخيرة أن خالتها أصبحت قلقة جداً على مستقبلها.

«سأعتني بجنكس يا عزيزتي آلين. إنها لا تستيقظ أبداً بعد أن تنام».

ولم ترد آلين. وتذكرت أن خالتها كانت في البداية تقوم بكل احتياجات جنكس لأن آلين كانت مضطرة للعودة إلى العمل بعد أن توقف كيت عن دفع النقود مباشرة، وكان ذلك بعد شهرين فقط من أخذ الطفلة. ومنذ بدأت جنكس تذهب للمدرسة بعد أن أصبح سنها أربع سنوات ونصف، بدأت الأمور تصبح أسهل بالنسبة إلى الخالة سو. إذ كانت في حالة صحية أسوأ كثيراً من ذي قبل، وتعاني من الروماتيزم وكل ما أصبحت تستطيع عمله الآن هو أن

تقدّم الطعام لجنكس بعد عودتها من المدرسة في الساعة الثالثة والنصف بعد الظهر

«إن وجودك ليلاً لا يعني أني يجب أن أخرج. حقيقة إن جنكس تنام نوماً عميقاً، ولكنها قد تستيقظ وأنا لا أريدك أن تتعبي من أجلها».

سمعت آلين صوتاً آتياً من الحديقة الخلفية، جعلها تتوقف عن الكلام ويبدو السرور في عينيها. وسقط عنها الاكتئاب الذي كانت تشعر به طوال اليوم، منذ أن ألقى الساعي بكل تلك الفواتير في صندوق البريد قبل أن تذهب للعمل في الصباح.

«ها هي ابنتي قادمة!»

قالت آلين ذلك وهي تبتسم بترحيب بينما فتح الباب بشدّة فاصطدم بالبوفيه.

وردّت الخالة سو بأسى:

«ابنتك!»

ومع ذلك امتلأ وجهها بالسرور عندما اندفعت الطفلة داخل الغرفة كالزوبعة بعينيها البنيتين الفاتحتين اللتين تفيضان بالحيوية، ووجهها ذي النمش وقد تلطخ بالشوكولاته وأنفها الأفطس المضحك.

«أمي، لقد عملت لك بطاقة لعيد الفصح، قالت المدرّسة إنها أجمل بطاقة في الصف وقد بكت مارغريت كرشو لأن بطاقتها ليست أجمل بطاقة. انظري! إن بها بطاً. أقصد دجاجاً».

قالت وهي تصحح نفسها وتبتسم ابتسامة عريضة، ثم تلعق فمها بلسانها لتزيل أثر الشوكولاته.

أخذت آلين البطاقة وهي تفحص الطفلة بعينيها وأخيراً استقرّت نظرتها على وجهها.

«من أين لك هذه الشوكولاته؟ لم يكن معك نقود».

جلست آلين على الكرسي ونظرت إلى البطاقة في يدها.
قالت الطفلة:

«قدّمها لي بول هادون لأني قلت له أني سأقبله ولكني لم أفعل. أخذت الشوكولاته وجريت ولكنه يجري أسرع مني لذلك أمسكني وضرب قدمي، ولكنه لم يستطع أن يسترد الشوكولاته لأني حشرتها في...»

توقفت جنكس عن الكلام عندما رأت آلين تعبس ثم عادت تقول وعيناها تبرقان:

«لأني وضعتها في فمي بسرعة».

وانحنت لتمسح مفصل قدمها.

«انظري إلى هذه الخبطة! سأكتب له على دفتر الحساب غداً وسيجعله المدرس يقف في الركن وسيضحك عليه كل الصغار».

قالت الخالة سو وقد قطبت جبينها:

«سيوضع في الركن أليس كذلك؟ أنت التي ستوضعين في الركن يا آنسة! إن بول لن يعاقب على ما ارتكبته أنت».

اتسعت عينا الطفلة.

«هل تعتقدين أنه سيفتن؟ لا إنه لن يفعل لأن كل الأطفال سيلقبونه بالفتّان».

وأخذت تلعق الشوكولاته مرة أخرى بلسانها. فقالت السيدة العجوز باهتمام:
«يجب أن نعالج سلوكها وطريقتها في الكلام يا آلين، لا نستطيع أن نتركها هكذا».

وهزّت آلين ، التي كانت مشغولة بالبطاقة، رأسها موافقة ونظرت الخالة سو إلى الطفلة مرة أخرى وقالت:

«أين شرائط شعرك؟ أيّ صبي أخذها هذه المرة؟»

«دافيد كيرشلي، لقد شدّها الاثنين ووضعها في البالوعة».

اشتعلت عيناها وأطبقت كفيها.

«لقد شددت شعره حتى صرخ بكل قوته. وحضرت سيدة وطلبت مني أن أتركه. ولكني لم أفعل فقالت لي إني طفلة صغيرة مشاكسة، فأخرجت لها لساني. فقالت إني أحتاج لعلقة ساخنة فأخرجت لها لساني مرة أخرى، كانت سيدة مضحكة، أمي هل تسمعينني؟»

«نعم يا عزيزتي إني أسمعك بالطبع».

«تلك السيدة لها أنف كبير وأسنانها كانت تتخبط وترتفع وتنخفض وهي تتكلم، هكذا...أوه! إني لا أستطيع أن أفعل ذلك هل تستطيعين أنت يا أماه؟»

«لا يا حبيبتي لا أستطيع، هذه البطاقة جميلة جداً لقد أحسنت رسمها حقيقة».

لمعت عينا جنكس البنيتان لهذا المديح وذهبت حيث تجلس آلين وطوقت عنقها بذراعيها ووضعت خدها على خد آلين.

«هل تحبين ما كتبته فيها؟ من أجل أمي لأني أحبها وفيها أيضاً خمسون قبلة!»

أخذت تتبع بأصبع قذر العلامات على جانبي البطاقة.

«تستطيعين أن تعدّيها بنفسك إذا أردت».

«إني أصدقك».

«كنت سأضع مائة ولكن قلمي انكسر ورفضت المدرسة أن تبريه لي وأردت سرقة قلم سوزان فوستر ولكنها كانت تمصه وتمضغ طرفه وكان مبتلاً لذلك لم أسرقه. ولم أستطع أن أكمل القبلات. سأعطيك قبلة حقيقية إذا أردت».

«لا، ليس وفمك ملطخ بالشوكولاته، اذهبي واغسليه».

«حاضر».

ذهبت جنكس بمرح ولكنها توقفت عند الباب.

«نسيت أن أخبرك أن جانيس بتس كانت مريضة».

«جانيس ابنة المدرّسة؟»

«نعم...كان عندها! اسهـ...اسهـ...ل أستطيع أن أنطق الكلمة ولكنها كانت ترفع يدها طوال الوقت وكانت السيدة بتس تغيرّ لها...أنت تفهمين ما أريد أن

أقوله. أليس كذلك؟»

هزّت آلين رأسها وهي تحاول ألا تضحك واستمرت جنكس تقول:
«كانت السيدة بتس تغسلها وتضعها على المدفأة. وحضر الناظر فرآها وسأل السيدة بتس فأخبرته فطلب منها أن تأخذ جانيس للمنزل. وحضرت فتاة كبيرة لتعتني بنا. أوه! إنها قصة طويلة أليس كذلك؟»

التقطت جنكس أنفاسها ولكنها استأنفت الكلام على الفور:
«لقد كانت هذه الفتاة لطيفة وشعرها أسود وقالت إن رسمي جميل وهي أيضاً رسمها جميل لأنها رسمت صورة وأرتني إياها. وهي ستذهب لمدرسة الفنون عندما تبلغ السادسة عشرة لأن شقيقها يذهب لمدرسة الفنون لتعلم الرسم...»

توقفت جنكس مرة أخرى لتلتقط أنفاسها فتبادلت السيدتان النظرات. نظرة آلين الضاحكة ونظرة الخالة سو اليائسة والتي أثارت ضحك آلين التي تحاول ألاّ تضحك فتشجعت جنكس على الاسترسال.
«هل يمكنني أن أذهب لمدرسة الفنون عندما أبلغ السادسة عشرة؟»
«سوف تعملين يا فتاتي لتحضري لوالدتك بعض النقود».

وحزنت آلين. كانت جنكس متعبة في بعض الأحيان ولكنها ذكية جداً. وكانت آلين تأمل أن تستطيع ارسالها إلى المدرسة طالما لديها الاستعداد لذلك.

قالت جنكس لخالتها:
«إني لا أريد أن أذهب للعمل. أنا أريد أن أتزوج لأن الوالد سيعطيني نقوداً كثيرة وكل ما علي أن أفعله هو أن أعتني بالأطفال وأغسل الأطباق. إننا نلعب لعبة الأمهات والآباء في المدرسة وهي ليست شاقة. ولكن عليك أن تقبّلي الوالد وأنا لا أحب ذلك وقد أخبرت السيدة بتس فأخبرت بول و دافيد بألا يهتما بالقبلات وأن يستمرا في اللعب. آه هناك شيء آخر نسيت أن أخبرك به. لقد حصلت أفريل على طفل وليد. إن الطفل بنت ولكن أفريل كانت تريد ولداً. لقد كانت تتفاخر علينا طوال الوقت وقد اغتظت منها فقلت لهم إن والدتي

ستلد طفلاً أيضاً فاندهشت السيدة بتس وسألتني إذا كنت متأكدة فقلت إني متأكدة بالطبع. فنظرت إليّ نظرة غريبة ثم هزّت كتفيها. هكذا».

أنبتها الخالة سو قائلة:

«إنك فتاة مشاكسة جداً لتحكي هذه القصص. يجب أن تخبري مدرستك غداً أن والدتك لن تلد طفلاً. هل تسمعين؟»

فتكور وجه الطفلة.

«ولكني أريد طفلاً بشدة. إن كل من في الصف تقريباً لديهم أطفال».

ثم نظرت لآلين وقالت:

«لماذا لا أستطيع الحصول على طفل؟»

«لأن ليس لديك والد يا عزيزتي. إن الأمهات لا يستطعن الحصول على أطفال إلاّ إذا كان لهن أزواج».

سكتت جنكس وهي تحاول التفكير في حل.

«ألا تستطيعين أن تجدي زوجاً؟»

هزت آلين رأسها بالنفي ولكنها ضحكت وهي تنظر لخالتها:

«ها نحن ثانية! يبدو أني يجب أن أبحث عن زوج لأرضيكما أنتما الاثنتين».

«إن داريل سومز لديه والد لطيف الآن».

ودفعت جنكس شعرها عن عينيها فلطخت وجهها واستطردت:

«لم يكن لديه والد من قبل ولكن والدته تزوجت. لقد ذهبت مرة مع داريل إلى منزله وقد ابتسم والده وأجلسه على ركبته. أتمنّى لو كان لي والد يجلسني على ركبته».

«على ركبته؟ أظن أنه سيقلبك على ركبته كل يوم ليضربك».

ضحكت جنكس ثم قالت:

«لا. لن يفعل لأني سأكون عاقلة. إن المرء يكون دائماً مؤدباً ليرضي والده أليس كذلك؟»

نظرت للخالة سو لتؤكد كلامها. ولكن الأخيرة نظرت فقط إلى وجه الطفلة الملطخ وأخذت نفساً ثم أطلقته ببطء وهي تتنهد بيأس.

واستمرت جنكس بدون أن تتأثر بموقف الخالة سو:

«نعم هذا صحيح. إن المرء يجب أن يكون مؤدباً من أجل الآباء لأنهم رجال. عندما تطلب والدة داريل منه أن يتوقف فهو لا يسمع كلامها. ولكن عندما يطلب منه والده ذلك فهو يسمع كلامه على الفور».

قاطعتها الخالة سو:

«بحق السماء اذهبي واغسلي وجهك. إن والدتك سوف تتركك تتحدثين حتى يوم القيامة! اذهبي للحمام وأريحي لسانك هذا من الكلام».

بدا الألم على وجه الطفلة، ثم وضعت يدها على معدتها وقالت:

«أوه! إني جائعة أنا لم آكل الطعام في المدرسة. لقد أعطتنا السيدة غراي أرزاً و كاري، إنها السيدة الجديدة التي تعطينا الطعام وهي سيدة لطيفة وتبتسم عندما تعطينا الطعام هل أخبرتك عن كلبها الذي صدمته السيارة؟ إنه لم يمت...»

«لا لم تخبرينا عن الكلب ولا نريد أن نسمع».

بدأت الخالة سو تغضب حقيقة. قامت آلين ودفعت جنكس قليلاً لتذهب للحمام.

«ماذا سنأكل مع الشاي؟»

«بيضاً مع الخبز المقدد».

«هذا عظيم هل أستطيع أن آخذ بيضتين مع قطعة خبز واحدة؟»

«لا ستأخذي بيضة واحدة مع قطعتين من الخبز».

«حسناً ولكني أريد مربى على قطعة الخبز الثانية».

وتنفست الخالة سو الصعداء عندما خرجت الطفلة وأغلقت الباب.

«حسناً. شكراً للسماء لبضع دقائق من الراحة!»

ذهب الغضب عنها ولكنها لم تسترد مزاجها الهادىء. كان وجهها جاداً وهي

تقول:
«يجب أن تكوني أكثر حزماً مع الطفلة يا آلين. إنها تزداد سوءاً. إنها فعلاً تحتاج لقبضة رجل. إذا كانت هكذا وهي في الخامسة فكيف سيكون حالها وهي في العاشرة؟»
«إني أخشى أن أفكر في ذلك».
اعترفت آلين. ثم أضافت بعد لحظة:
«أنا لا أستطيع أن أضربها والكلام لا يؤثر فيها. من الجائز أنها ستتحسن بطريقة طبيعية؟»
نظرت بأمل نحو خالتها التي هزت رأسها بالنفي.
«لا يا آلين. إنها لن تتحسن بطريقة طبيعية. يجب أن تكوني أكثر حزماً معها. تصوري أنها أخرجت لسانها لتلك السيدة. يا ترى من تكون؟»
«يبدو أنها السيدة أركرايت. وإذا كان هذا صحيحاً وإذا كانت فعلاً هي، فإنها ستضيف كثيراً إلى ما حدث وتنشره بين كل الجيران».
«ماذا يهمنا من ذلك؟»
لم يبد على الخالة سو أنها تشعر بالتناقض في موقفها وهي تواصل كلامها:
«لم يكن من حق تلك السيدة أن تدين الطفلة بدون أن تعرف كل القصة. إذا كان هذا الولد قد أخذ شرائط شعر جنكس وألقى بها في البالوعة فقد فعلت جنكس صواباً بشد شعره وخاصة أن ثمن شرائط الشعر ازداد كثيراً!»
«هل لاحظت الجرح الجديد في ركبتها؟»
كانت آلين مازالت تمسك البطاقة ثم أعطتها للخالة سو وهي تقول:
«لا بد أنها وقعت مرة أخرى اليوم».
تنهدت الخالة سو بصبر وهي تنظر إلى البطاقة وقالت:
«لقد سئمت من الملاحظة. إن لديها أكثر من نصف دستة من الجروح في مراحل مختلفة من الالتئام. ولكني رأيت ثوبها الممزق وبنطلونها الملطخ بالطين. لا بد

أنها كانت تتزحلق على ذلك التل وتستقر في القناة القذرة في أسفله».

وأعادت الخالة سو البطاقة لابنة أختها التي وضعتها في الخزانة ثم تنهدت وقالت:

«حسناً... كما قال أحدهم عندما أخذت الطفلة أنها ستكون سلوى وسنداً لك عندما تتقدمين في السن».

تتقدّم في السن...تشعر الآن أنها تقدمت في السن. تذكرت تلك الأيام التي كانت تشعر فيها بالحيوية والسعادة هي و استيل لقد كانتا تشعران بطعم الحياة وبما فيها من تسلية وكانتا تضحكان كثيراً. وخاصة على الأصدقاء اللذين كان يصعب عليهم التمييز بينهما لأنهما كانتا ترتديان ملابس متشابهة. كانت أياماً سعيدة خالية من الهموم ولكنها مرّت سريعاً. ولكن في السنوات الأخيرة كانت آلين تشعر بثقل المسؤولية التي تحملتها طواعية. وكثيراً ما تتساءل عما يحمله لها المستقبل. ولم تكن تتصوّر نفسها إلاّ كفتاة عانس تنهي حياتها مثل الخالة سو التي كانت تقضي وقتها في الاستماع إلى الراديو والقراءة وتسير بمساعدة عكاز. ولكن حتى في أسوأ حالاتها وعندما تكون روحها المعنوية منخفضة تماماً فهي لم تكن تندم مطلقاً على أخذ جنكس والاحتفاظ بها.

ولكنها يجب أن تفعل شيئاً لاصلاح سلوكها وألفاظها.إنها تتفق تماماً مع الخالة سو في هذه النقطة فيجب ألاّ تحطم حيوية الطفلة وشخصيتها. ولكنها يجب أن تهذبها وتهدىء من طباعها. ولكن كيف؟ كما قالت جنكس نفسها ان الأطفال يطيعون آباءهم ويحترمون كلمتهم أكثر مما يطيعون أمهاتهم ويحسبون حسابهن. وخاصة طفلة مثل جنكس تمتلىء حيوية مشاكسة. جنكس...هل هناك اسم يناسب صاحبته أكثر من ذلك؟ إذ أن معنى اسمها موزعة المشاكل.

قالت جنكس عندما جلس ثلاثتهم لتناول الطعام:

«إني أحب أيام الأربعاء لأن أمي تكون موجودة في المنزل عندما أعود. كنت أتمنى أن تكوني موجودة كل يوم».

ابتسمت آلين وضغطت الخالة سو على شفتيها لعدم كياسة الطفلة. لقد اضطرت آلين أن تترك المدرسة وتعمل وهي في السادسة عشرة من عمرها، لأنه برغم أن خالتها استطاعت أن تقدم لها السكن إلا أنها لم تكن تستطيع أن تنفق عليها. وقد التحقت آلين بأول عمل أمكنها الحصول عليه ولم تغيره أبداً. لأنها كانت محظوظة عندما أعادوها للعمل بعد أن تركته عندما أقنعها كيت بأخذ جنكسي. كانت تعمل في متجر كبير في المدينة ولم يكن أمامها أية فرصة للترقي في مثل هذا العمل. وقد فكرت آلين كثيراً في التغيير ولكن المدينة صغيرة ولم تكن هناك فرص كثيرة. كانت تود أن تصبح سكرتيرة خاصة، ولكن لم يكن لديها النقود لتحصل على التدريب المطلوب لهذه الوظيفة. ولذلك بقيت كما هي في عملها بدون أي تغيير تعمل خمسة أيام ونصف في الأسبوع، ولا تحصل على أكثر من خمسة عشر يوماً إجازة سنوية.

وكانت عادة تقضي هذه الاجازة في القيام بالأعمال المنزلية التي كانت تضطر لاهمالها، خاصة وأن خالتها لم تكن تستطيع أن تقوم إلاّ بعمل بسيط. فكانت تأخذ الستائر والأغطية للتنظيف وتخرج السجاجيد للتهوية أو تقوم بلصق ورق حائط لاحدى الغرف أو بحياكة بعض الملاءات والأغطية المهترئة. وكانت دائماً في مثل هذه الأوقات تتجه بأفكارها لشقيقتها والحياة الناعمة التي تعيشها. لقد قدمتها صديقتها التي ذهبت لتعيش معها في المدينة من سنين مضت إلى رجل وجد لها عملاً كموديل وهي تكسب من هذا العمل في بضع ساعات ما تكسبه آلين في أسبوع . وأصبحت استيل الآن تملك شقة فاخرة. وبرغم أن آلين لا يعجبها ذوق أختها في تأثيث الشقة إلاّ أن بها كل نفيس وغال. وعندما تحصل استيل على أجازتها فهي تقضيها عادة في مكان خيالي مع أحد اصدقائها بحيث لا تقل عن ثلاثة أو أربعة أسابيع وقد تزيد.

٢ ـ اختلاف في نقطة

في الساعة الثامنة مساء اليوم التالي، كانت آلين تدق جرس باب بيت شقيقتها. انتظرت طويلاً قبل أن تفتح شقيقتها الباب.

«أهلاً! ادخلي، لقد خرجت لتوي من الحمام. في الواقع نسيت أنك ستأتين اليوم. اذهبي لغرفة الاستقبال. لن أتأخر».

«نسيت أني سأحضر؟»

لقد اتصلت آلين تلفونياً منذ أربعة أيام فأعلنت استيل بحماس شديد أنها ستسر برؤية شقيقتها.

«هل كنت خارجة؟»

«لا. أنت تعلمين أني أبقى مساء من كل أسبوع في المنزل. لقد أصبحت الحياة محمومة لدرجة أني أحتاج لذلك. صدقيني».

ودعتها استيل للجلوس بحركة من يدها.

«سأرتدي ملابسي حالاً. خذي مشروباً وسيكارة وتناولي ما تستطيعين من الشوكولاته...إني لا أجرؤ على ذلك».

وبطريقة آلية مدّت يدها لتأخذ معطف آلين وعندما أخذته اختفت ناحية غرفة النوم.

جلست آلين على أحد الكراسي وأخذت قطعة من الشوولاته. كان هناك كتاب مفتوح ومقلوب على الأريكة. التقطت آلين الكتاب وألقت عليه نظرة واحدة ثم أعادته مكانه بسرعة. كانت آلين تظن أن الرجال فقط يقرأون مثل

هذه الكتب!

بعد عشر دقائق كانت استيل تسحب أحد الكراسي وتجلس على ذراعه.

«ما أخبارك؟»

ثم أضافت:

«لماذا أسأل؟ قد تكون معجزة إذا كان لديك أية أخبار تقصينها عليّ».

ابتسمت آلين وهزّت رأسها. فسألت استيل عن الخالة سو.

«إنها ما زالت تعاني من الروماتيزم على ما أظن؟»

قالت آلين بحزن:

«نعم وحالتها تسوء».

سكتت قليلاً بتأمل ثم قالت:

«لقد أخبرت إحدى الجارات أخيراً أنها مستعدة للموت وقد أخبرتني الجارة بذلك وقد بدأت أنشغل. أحياناً يكون الألم فظيعاً وهي تحاول إخفاء ذلك عني ولكنني أشعر به».

هزت استيل كتفيها الأنيقين.

«إنها السن. لا تستطيعين عمل شيء لها».

ثم ألقت نظرة جانبية على شقيقتها وقالت:

«إنك لن تستطيعي الاقامة في المنزل إذا حدث شيء للخالة سو أليس كذلك؟»

«أظن أن المالك سيوافق على أن أبقى».

«إنك متفائلة. إنه منزل في إحدى ضواحي لندن. وتتوقعين أن يؤجره المالك لك؟ إنه سيكون قنبلة في المزاد».

ونظرت استيل إلى آلين بشيء من العطف.

«لا بدّ أن المالك قد تمنى أن تموت من مدّة طويلة».

«أنا متأكدة أنه لا يمكن أن يكون بهذه القسوة».

ولكن في نفس الوقت الذي كانت تقول فيه ذلك تذكرت أن الخالة سو

كتبت للمالك من فترة قصيرة، وطلبت من آلين أن ترسل الرسالة. هل من الممكن أن الخالة سو كانت تطلب تغيير عقد الأيجار؟ إذا كان كذلك، والمالك ردّ بعدم الموافقة فهذا يفسرّ القلق الذي انتابها في الأسابيع الأخيرة، وقد يكون السبب في إلحاح الخالة سو على أن تخرج آلين أكثر وتقابل أشخاصاً من سنها أو على الأصح رجالاً، لتستطيع العثور على زوج. الخالة سو مستعدة أيضاً لأن تبيع مصاغها.

بدأ الدم يهرب من وجه آلين وبدأت تشك في أن مرض خالتها أخطر مما تعتقد. فكّرت آلين والألم يعتصرها في احتمال وفاة خالتها. ماذا سيكون مصيرها هي و جنكس في هذه الحالة؟ كلّما فكرت فيما قالته شقيقتها كلّما اقتنعت أن المالك سيطردها من المنزل والسبب بسيط وهو أن المنزل بسبب قربه من العاصمة يساوي مبلغاً كبيراً من المال. بدأ قلب آلين يدقّ بعنف ولكي تتخلص من هذه الأفكار المزعجة طلبت من شقيقتها أن تحكي لها آخر الأخبار.

«عن حياتي؟ إنها ستصدمك. إنها دائماً تصدمك».

قالت استيل وهي تبتسم ابتسامة عريضة وتأخذ سيكارة من العلبة وتشعلها.

«ما هي آخر مغامراتك؟ اخبريني عنها. لقد كان آخرهم اسمه جيمس عندما كنت هنا في المرة الأخيرة».

«جيمس؟»

قطبت استيل جبينها في محاولة للتركيز. ولكن بعد قليل انفرج وجهها وقالت ضاحكة:

«إني لا أستطيع أن أتذكّر أي جيمس منهم...آه إنه جيمس كريستلي. لقد كان غبياً. خسر مبلغاً كبيراً من المال في لعب القمار وبذلك انتهى بالنسبة إلي. أنا لا أطيق الرجل الذي لا يعرف كيف يحافظ على ماله».

وتلا ذلك صمت قصير. كانت استيل غارقة في تفكير عميق ولكن ما

كانت تفكر فيه أثار تعبيراً من الغضب على وجهها وقالت:

«لقد كنت أخيراً أخرج مع شخص يوناني...»

«يوناني؟»

سألت آلين باهتمام:

«كم جنسية عرفت إذن؟»

«الله أعلم! لقد تعرفت على أشخاص من أمريكا الجنوبية. إنهم خبراء! أمريكان واستراليون ودانمركيون وأسبان. وهم أيضاً يعلمون ماذا يفعلون...»

وتوقفت مستجيبة لضحك آلين.

«ماذا حدث؟ لقد كنت تصدمين لسماع مغامراتي».

«أظن أني بدأت أعتادها».

«إني سعيدة لذلك. كنت أكره الاحراج الذي كنت تشعرين به طوال الوقت ماذا كنت أقول الآن؟ آه ذلك اليوناني المجنون. كان صغيراً في السن. عمره واحد وعشرون سنة. عائلته غنية جداً تعمل في كل شيء، من مزارع الزيتون والدخان إلى الفنادق والملاحة. عندما قابلته كان قد خرج لتوه من وصاية عمه التي دامت عشر سنوات. وعمه هذا يبلغ من العمر الخامسة والثلاثين..ولم يكن سولاس يتكلم كثيراً عن عمه ولكني فهمت من القليل الذي قاله عنه أنه كان متشدداً ولا يعطيه كثيراً من المال. لذلك عندما بلغ الواحدة والعشرين ترك جزيرة كريت حيث يقتلون بعضهم في المبارزات ويقتلون أي شخص يتعرض لهم أو لعائلاتهم بأي أذى. إنهم أناس متوحشون ولهم قوانينهم الخاصة بالعقاب».

سكتت استيل لحظة لتسحب نفساً من سيكارتها قالت آلين بشك:

«إنك تبالغين، لا أظن أن هناك أناساً يقومون هم بدور القانون هذه الأيام. إني متأكدة أنهم لا يقتلون بعضهم البعض».

هزت استيل كتفيها.

«كما تشائين هذا ما قاله سولاس، وأظن أني قرأت عن هؤلاء الناس الذين لهم

طريقتهم البربرية في الانتقام. وعلى كل لنعد لسولاس. لقد قرر أن يبدأ عملاً هنا في لندن واشترى لنفسه شقة خيالية. إن شقتي هذه لا شيء بالنسبة إلى شقته، صدقيني».

ابتسمت استيل لتعيد الدهشة إلى وجه شقيقتها وترددت لحظة ثم رفعت يدها بغير اكتراث وقالت:

«هل رأيت من قبل ماسة بهذا الحجم؟»

«هل هي حقيقية؟»

اختلجت عينا ألين بعدم تصديق. لقد لحظتها بالطبع ولكنها افترضت أنها تقليد.

«هل اشتراها لك سولاس؟»

«كانت متعة في البداية. لأنه كان ينفق و ينفق ليعوض كل السنين التي لم يكن يسمح له فيها بذلك. كما يقال يبدو أن عمه هذا كان بخيلاً جداً وهو أمر مضحك لأنها أموال سولاس».

«نعم ولكن طالما أن عمه كان وصياً عليه فقد كان يقوم بواجبه».

«إنها مسألة رأي».

كانت استيل تلوي أصبعها ليسقط الضوء على الماسة الرائعة فتشع بالألوان المختلفة. وغمغمت لنفسها:

«ستكون مفيدة في وقت الشدة. إني أجمع مجموعة. إن لدي سبعاً منها الآن، ولكن ليس من هذا النوع بالطبع. لن أستطيع أن أحصل على واحدة مثلها طول حياتي. سأريك المعطف وهو من الفراء اشتراه لي. ولكن سأحضر شيئاً لنأكله أولاً. لقد استطعت الحصول من سولاس على استثمار جيد قبل أن ينتهي كل شيء. جننت عندما حدث ذلك! حصلت على كل ذلك منه في أسبوعين. ماذا كنت أستطيع أن أكسب لو استمر الأمر بضعة شهور؟»

حدقت ألين في شقيقتها غير مصدقة.

«هل قلت أسبوعين؟ أسبوعين فقط؟»

«نعم، لقد كنا معاً كل الوقت ثم جاءت النهاية المؤلمة».

«مؤلمة؟»

«أقصد بالنسبة إلي لقد وقع في حبي الغبي! كم ثرت! لقد طلب مني الزواج واعتبر موافقتي أمراً مفروغاً منه، قال إنه غرّر بي وفي بلده لا يمكن أن يرضى أحد غيره أن يتزوجني. وقال إنه فعل ذلك فقط لأنه يحبني، وأنه يعتقد أنني أحبه، وإلاّ ما كنت فعلت ذلك. ورفض أن يصدقني عندما قلت له إني لا أحبه، وإنني لا يمكن أن أحبه في يوم من الأيام. كان قليل التجربة لأن عمه كان يحميه أكثر من اللازم على ما أظن. وبرغم أني كنت أكره أن أتركه إلاّ أنه لم يكن لديّ حل آخر، لأنه كان مصراً على أن نتزوج. كانت لديّ أحلام أن أحصل على مزيد من هذه الأحجار في شكل عقود أو أساور أوغير ذلك».

كانت استيل تتكلّم بصوت منخفض وقد قطبت ملامحها الجميلة.

«لقد توقعت أيضاً مزيداً من المال ومن القطع الثمينة للشقة».

وهزّت كتفيها ثم عاد وجهها يصفو.

«إنه الحظ في اللعب على ما أظن، لقد ساءت الأحوال جداً مع سولاس في النهاية. لقد هدّد بالانتحار لأنه كان لا يستطيع العيش بدوني كما قال».

صاحت آلين برعب:

«الانتحار؟»

«نعم حاول. ولكنه لم ينجح. لقد حضر هنا بعد أن أخبرته أني أنتهيت معه وأن الزواج منه أو من غيره هو آخر شيء يخطر على بالي. كنت في جلسة ممتعة على العشاء مع ستان موزفيلد وهو آخر أصدقائي، عندما دقّ سولاس جرس الباب، فأدخلته الخادمة الغبية. جُنّ جنونه عندما رآنا وأخذ يتوسل إلي أن أعود إليه. لقد بكى بالفعل. كان مشهداً كريهاً! إني أرجو ألاّ يتكرر أبداً. وفي النهاية طلبت من ستان أن يلقيه في الخارج ولكنه كان قوياً واضطررت أن أتدخل

أنا والخادمة لنستطيع أن نطرده وفي النهاية وعندئذ هدّد بالانتحار».

تلا ذلك صمت قصير ونظرت آلين إليها وقد روّعتها هذه الاعترافات. لقد تصوّرت ذلك الولد المسكين وهو يغدق عليها بهذه الهدايا لأنه كان يعتقد أن استيل ستتزوجه. كما تصوّرت ألمه عندما رأى محبوبته وهي تتعشى في شقتها مع رجل آخر. ثم أن تلقيه في الخارج. كيف استطاعت استيل أن تكون بهذه القسوة؟

«ما كان يجب أن تخدعي شاباً بريئاً هكذا يا استيل. إنّ هذا عمل شرير».

«إذا لم تتغلبي على الرجل فإنه سيتغلّب عليك. انظري ماذا حدث لك! لقد ترك لك طفلة ليست حتى ابنتك منه. إنك طيبة أكثر من اللازم يا آلين، وهذا لن ينفعك عندما تتعاملين مع صنف الرجال. إنهم يستحقون كل ما يحدث لهم وإذا واتتك الفرصة لأن تقهري أحدهم فانك تكونين غبية إذا تركت الفرصة تمر بدون أن تفعلي».

ابتسمت آلين لهذا القول.

«لا أتصور أن هذه الفرصة قد تواتيني. إني لا أقابل أي رجل».

«ولكن إذا حدث... لنفترض أن الفرصة جاءتك لتحصلي على بضع ماسات ومعطف من الفراء. هل تستغلينها؟»

«لا. لا أستطيع».

«إنك بلهاء! تفضلين أن تعيشي في الفقر، أليس كذلك؟»

«يجب أن أكون صادقة مع نفسي يا أستيل. من الجائز أني غبية كما تقولين ولكنه ضميري المتعب».

«إن الضمير دائماً متعب، وضميرك كان دائماً مؤرقاً لك كما أتذكر... ومع ذلك قد يأتي الوقت الذي تتغيرين فيه. آمل ذلك لأني لا أستريح للطريقة التي تعيشين بها».

فابتسمت آلين لأنها تعرف شقيقتها، وتعرف أنه لا توجد ذرة من الاخلاص

في تعليقها الأخير. وقالت لتغير الموضوع:

«وعمه هذا هل يعرف ما حدث؟»

مرت لحظة صمت متوترة، ثم أطفأت استيل سيكارتها بعنف وأشعلت أخرى على الفور ولم تجب على السؤال إلاّ بعد أن أخذت نفساً عميقاً ونفثت الدخان في دوائر في الهواء.

«عندما طردته أقسم سولاس أنه سيترك رسالة لعمه قبل انتحاره يخبره فيها بكل شيء عن الهدايا والنقود، وأنني كنت أصادق رجالاً آخرين غيره. وقال إنّ انتحاره سيكون وصمة في جبين عائلته. وطالما أنني المسؤولة فإن عمه سيقتص مني. وقال إنني حينئذ سأتمنى الموت لأنه سيكون أرحم مما سيفعله ثيوس بي».

«ثيوس! هل هذا اسم رجل؟»

«إنه يعني عمه. هكذا كان يدعوه سولاس، يبدو أنهم في عائلته لا يدعونه إلاّ هكذا، ثيوس التي تعني عم».

وضحكت استيل فطردت شعور الخوف الذي أشاعته من قبل. ثم استمرت تقول إن سولاس تناول بعض الأقراص، ولكن خادمته حضرت مباشرة وشعرت أنه مريض فاستدعت طبيباً. حضر على الفور وأخذه للمستشفى، حيث أسعفوه وخرج بسرعة لأنه لم يحدث له أي ضرر. وأرسلوا لعمه الذي حضر وأخذه مباشرة إلى اليونان.

«وهل حصل ثيوس هذا على الرسالة؟»

هزت استيل رأسها بالأيجاب.

«لقد تصرّفت الخادمة بسرعة لأنها شكّت أن سولاس حاول الانتحار. لذلك بحثت ووجدت الرسالة واحتفظت بها لثيوس. لذلك لم تحدث فضيحة. وقد أشاع ثيوس أن سولاس أخذ الأقراص بالخطأ برغم أني أعلم أن هذا غير صحيح، فقد وصلتني رسالة من سولاس يخبرني أني السبب».

«أنت السبب؟»

اصفر لون آلين وهي تتذكر ما قالته استيل عن الاتجاهات البربرية لهؤلاء الناس، وأنهم يوقعون العقاب بأنفسهم على من يتعرّض لهم أو لعائلاتهم بالأذى. لقد سبّبت استيل بلا شك أشدّ الأسى لسولاس وسينعكس هذا على عائلته لأنه برغم أن سولاس قد أنقذ وتمّ تفادي الفضيحة إلا أنه حاول الانتحار وهذا في حدّ ذاته عار سيلحق بعائلته لفترة طويلة.

«أخبرني سولاس أنني سأعاني من أجل ما فعلت لأني نهبته كما قال...».

وتوقفت ثم برقت عيناها وقالت:

«لقد حصل عليّ مقابل لنقوده!»

مقابل! كل هذا...وفي أسبوعين فقط شعرت آلين بالانقباض في معدتها. ولكن في نفس الوقت خطر لها أنهما عندما تصبحان في الثلاثين من العمر ستكون استيل امرأة غنية جداً، بينما ستبقى هي فقيرة كما هي الآن. وكل هذا من أجل مثلها التي عفا عليها الزمان

وسألت في النهاية وهي تراقب رد فعل شقيقتها باهتمام:

«ألست خائفة؟»

«لم أخشى الرجال أبداً طوال حياتي. إذا كان هذا اليوناني الهمجي يريد أن ينزل بي عقابه فإن عليه أن يمسك بي وهذا أمر غير محتمل. إنه لا يستطيع أن يختطفني، أليس كذلك؟»

«حسناً...أظن أنه لا يستطيع».

كانت آلين قد بدأت تشعر بالخوف من أجل شقيقتها. وضحكت استيل وقالت:

«لا تبدين متأكدة من هذا».

«ما اسم عمه هذا؟»

شعرت آلين لأسباب لم تستطع تحديدها أنها تريد أن تعرف أكثر عن

اليوناني الذي هددّ شقيقتها.

«ليس لدي أية فكرة كما قلت لك، فإن سولاس كان يدعوه ثيوس».

«إذن فأنت لا تعرفين اسمه وفي الأغلب أنه يعرف ذلك؟»

«لقد ذكر سولاس هذا في رسالته لي، قال إني لا أعرف اسمه أو شكله وبذلك فلن أستطيع أن أحتاط لأحمي نفسي. وأنه سعيد لأنه لم يتكلّم كثيراً عن ثيوس. ومن الواضح أن حب سولاس لي قد انقلب إلى كراهية».

وامتقع لون آلين وهي في دهشة لعدم اهتمام شقيقتها بالأمر وقالت:

«إذن فإن قابلت ثيوس هذا فإنك لن تعرفيه؟ إنك لا تعرفين أي شيء عنه على الاطلاق؟»

«إني اعرف القليل».

شعرت استيل بالدهشة والتسلية من القلق الذي اعترى آلين خوفاً عليها. وحملقت فيها وهي تسخر من خوفها الذي لا داعي له وقالت:

«إنه أعزب يخالط النساء ولو أنه يكره الجنس اللطيف بينه وبين نفسه. وهو يأخذ الكثير ويعطي القليل، ولذلك فلن يحصل أحد منه على مثل هذا الخاتم الماسي».

«هل هذا كل ما عرفته عن ثيوس على مدى خمسة عشر يوماً؟»

فقالت استيل وهي تضحك.

«إنه ليس وقتاً طويلاً. وخاصة أنه كان عليّ أن أفعل الكثير. إن اليونانيين من أكثر الرجال ولعاً بالحب، والمرء لا يتوقع الفراء والماس من أجل لا شيء. وفي كل حال فإن سولاس لم يكن يحب أن يتحدّث عن عمه. وأنا لم أكن مهتمة به، لذلك لم أسأل أية أسئلة. أما بالنسبة الى سؤاله عني فأنا دائماً أدعي أنه ليس لي أي أقارب لأن هذا أسهل وأكثر فائدة».

ازداد تقطيب آلين. كانت ما تزال تشعر أن أستيل تستهين أكثر من اللازم بهذا الموضوع. كما أنها كانت تشعر أن إنكار استيل أن لديها أي أقارب ليس في صالحها. لأنه على سبيل المثال فإن ثيوس هذا كان سيفكر جيداً قبل أن ينفذ

تهديداته لو علم أن لها شقيقة وخالة.

«إنه يعرف اسمك وشكلك وأتوقع أن سولاس أخبره أنك تعملين كموديل. أليس كذلك؟»

هزت استيل رأسها بالايجاب ثم أضافت أن سولاس لديه الكثير من صورها.

ابتلعت آلين لعابها لقد سمعت كثيراً من القصص في زيارتها لشقة شقيقتها ولكن ما سمعته هذه الليلة فاق كل شيء.

«إذن فإن سولاس سيكون قد عرض بعض هذه الصور على عمه؟»

«بعض الصور؟ لا بد أنه سيريه كل الصور. إنك لا تعرفين الرجال!»

ألقت رأسها للخلف وضحكت بصوت عال بينما ازداد ارتباك آلين وخجلها.

«إنك مضحكة يا آلين. متى ستعتادين هذه الأمور؟»

«ألا يهمك أن يرى هذا الرجل الآخر صورك؟»

«لماذا أهتم؟ في كل حال فأنا لا أستطيع أن أفعل شيئاً حتى لو كانت الكرة لا تعجبني».

فتنهدت آلين بقلق وأخبرت شقيقتها أنها يجب ألا تستخف بالتهديدات في رسالة سولاس إلى هذه الدرجة.

ثم سألت:

«أين ثيوس الآن؟»

«لقد عاد سولاس كما أخبرتك. وقد قابلت أحد أصدقاء سولاس من بضعة أيام، وقد وصلته رسالة من سولاس لتوه. إن سولاس في كورفو حيث له ممتلكات كثيرة. أما ثيوس فهو من جزيرة كريت على ما أعتقد لأن بيته هناك».

ثم أضافت استيل وهي تلوي شفتيها لتحرج شقيقتها:

«تبدين قلقة. لا بد أنك تخافين أن يختطفني ثيوس هذا إلى تلك الجزيرة

الهمجية وينتقم مني؟»

كانت آلين تود أن تقول أن هذا العقاب ليس هو العقاب الرادع بالنسبة الى استيل ولكنها بالطبع لم تفعل.

«هل صحيح أن هؤلاء الناس قتلة؟»

«نعم. إنهم كذلك. إنهم يؤمنون أن العين بالعين. وحياة شخص في مقابل آخر. إنهم لا يلتزمون بالقانون وفي بعض الأماكن النائية لا يكفون عن الدخول في عداءات. وحسب ما أخبرني سولاس. وقد ذكرني به في رسالته فإنهم يقتصون بلا رحمة من كل من يتعرّض لهم بالأذى».

«لو كنت مكانك يا أستيل لكنت أخاف».

«لم أكن أعرف أنك ستهتمين إلى هذا الحد.»

ثم أضافت:

«في كل حال فأنا سأرحل قريباً، فإن كان يريدني فإن عليه أن ينتظر».

برقت عيناها الزرقاوان الرماديتان بسعادة الانتظار، وكان الواضح أن اليوناني قد اختفى تماماً من مخيلتها.

«أنا مدعوة إلى رحلة طويلة على يخت».

«يخت؟ هذا مثير، يخت من؟»

«إنك لا تعرفين صاحبه، حتى أنا لا أعرفه. إنه أمريكي غني يعرفه ستان.لقد دعا عدداً كبيراً من الناس وسنغيب عدّة أسابيع».

«ولكن ماذا عن عملك؟ هل تستطيعين الحصول على كل هذه الاجازة؟»

فكّرت آلين في إجازتها التي لا تتعدّى الخمسة عشر يوماً والتي تقضيها في محاولة القيام بالأعمال المنزلية المتأخرة والمتراكمة.

«لقد تغيّبت مرّة سابعة خلال هذا العام ونحن ما زلنا في شهر أبريل/نيسان

«إن عملي مرن...وفي كل حال فإن رئيسي أحد المدعوين».

نظرت إلى ثوب آلين القديم. كانت قد اشترته من المحل الذي تعمل فيه

بثمن رخيص لأن فيه عيباً.

«إنك مجنونة. أنت جميلة مثلي لا بدّ أن تكوني كذلك!»

قالت ضاحكة:

«ولكن ماذا تفعلين بجمالك؟ هل ما زالت طفلة كيت المزعجة معك؟»

«إنك تعلمين جيداً أنها معي. وهي ليست مزعجة».

«حسناً... حسناً... لا تنفعلي. ولكنك غبية للاحتفاظ بها. هل أنت مستعدّة لأن تعيشي فقيرة طوال حياتك؟»

«لا أظن أني سأتغير كثيراً عما أنا فيه الآن».

ولكنها تنهدت في داخلها وهي تلقي نظرة حولها. لقد كانت استيل تملك كل ما يمكن، أن يشتريه المال... وكان مازال أمامها فرصة للمزيد.

قامت استيل وذهبت نحو المطبخ وهي تقول بفخر:

«ماذا أستطيع أن أقدم لك؟ أي شيء تطلبنيه موجود».

«إني أفضل القهوة».

«حسناً... وأنا أيضاً سأشرب القهوة معك. تعالي إلى المطبخ لنتحدّث بينما أعدّها وسنأكل بعض الشطائر معها».

ودخلت إلى المطبخ وتبعتها آلين. واندهشت عندما رأت المطبخ وتذكّرت مطبخها والحوض الذي يزيد عمره على الأربعين سنة وقالت:

«لو كان هذا مطبخي ما كنت أخرج منه!»

«إذن فأنت أكثر غباء. إن المطبخ هو آخر مكان أحب أن أبقى فيه. إن لدَي شغالة الآن تحضر كل يوم وتنصرف الساعة السادسة، ولكنها تبقى عندما يكون لدَي حفلات».

وأخرجت استيل جهاز إعداد القهوة وأخذت آلين تعد الشطائر بعدأن أخبرتها استيل عن أماكن الأشياء.

قالت استيل عندما لاحظت نظرة آلين إلى كل شيء.

«إنك تستطيعين الحصول على كل ذلك».

وبحركة تلقائية من أيام الصداقة والصبا وضعت استيل ذراعها حول خصر شقيقتها النحيل وقادتها للبهو حيث وقفتا جنباً إلى جنب أمام المرآة الطويلة ذات الاطار الذهبي. كانت لهما نفس العينين الواسعتين الصافيتين بنفس اللون الجميل الذي يجمع بين الأزرق والرمادي الفاتح وذات الأهداب الطويلة الملتوية التي تزيدها جمالاً وجاذبية. وكان لون جلدهما صافياً وخداهما مرتفعين بلون الخوخ وشفتاهما ممتلئتين وجميلتين ولهما نفس الجبهة العالية التي تنم عن الذكاء. وكان شعرهما ذهبياً بلون العسل الأبيض، لامعاً وطويلاً.

قالت استيل ونظرتها تقابل نظرة شقيقتها في المرآة:

«كم هو مدهش أن يتشابه اثنان إلى هذه الدرجة!»

ضحكت الفتاتان وهما تتذكران أيام الصبا عندما كانتا تستمتعان بالضحك على أصدقائهما. كانت آلين تقول. أنا لست آلين.أنا استيل. وكانت استيل تقول: أنا آلين ولست استيل. وكانتا تغرقان في الضحك والمشاكسة. وكانت المدرسة تسأل. أيهما أنت؟ هل أنت استيل فترد قائلة لا أنا آلين.

تمتمت آلين وهي تكلّم نفسها:

«كانت أياماً ممتعة. إننا ما زلنا متشابهتين. إني أتساءل إذا كنا سنبقى دائماً هكذا؟»

«لا أظن ذلك. إن الهموم ومشاكل الفقر وتربية تلك الطفلة ستجعلك تشيخين قبل الأوان. إلاّ إذا استمعت لنصيحتي وبدأت تعيشين».

لم ترد آلين بالطبع على ذلك. وبعد سكوت قصير قالت استيل مقطبة:

«نحن لسنا متطابقتين تماماً حقيقة، لم يكن من العدل أن تكون الوحمة في جسمي أنا».

كانت استيل دائماً تردّد ذلك، ولكن الأمر لم يكن له أية أهمية بأي شكل. قالت آلين:

«إنها غير ظاهرة في أي حال».

ارتفعت يد شقيقتها بطريقة آلية إلى جنبها الأيسر وقالت وهي تفكر وتبتسم لآلين في المرآة:

كان سولاس مجنوناً بها. وكان يحب أن يقبلها طوال الوقت لأنها كما كان يقول فوق مكان القلب مباشرة. سيراها عمه في الصورة.

ثم أضافت وهي تقطب جبينها:

«لو كنت أعلم أن أحداً سيرى هذه الصورة لكنت استدرت حتى لا أظهر الوحمة. ولكن سولاس كان يريدها أن تظهر في الصور».

ثم ضحكت وقالت وهي تستدير عائدة إلى المطبخ:

«ولكنك أنت التي أحمرّ وجهك خجلاً!»

كانتا تأكلان الشطائر عندما ذكرت استيل موضوع الرحلة البحرية التي كان مفروضاً أن تقوم بها، لو لم تدع إلى تلك الرحلة على اليخت. وكانت قد اشترت تذكرة السفر. وعندما علمت برحلة اليخت كتبت للشركة السياحية تطلب إلغاء التذكرة وإعادة النقود.

وقالت بغضب مفاجىء:

«لقد رفضوا إعطائي أي مبلغ! ستضيع كل تلك النقود. أنا أستطيع أن أذهب إلى هذه الرحلة، ولكن العودة قبل قيامي بيوم واحد في رحلة اليخت. وأنا لا أحب هذه العجلة.

«متى كان المفروض أن تقومي بهذه الرحلة؟»

«بعد أسبوعين».

«أسبوعين؟ إذن لا يمكن أن تتوقعي أن يعيدوا نقودك لأنه لن يمكنهم أن يشغلوا مكانك في هذه الفترة القصيرة».

«ما كا ن يضيرهم أن تبقى الكابينة شاغرة».

وقامت استيل من المائدة وذهبت وأحضرت مغلفاً كبيراً من درج مكتبها

وألقته على الأريكة بجانب آلين.

«حاولي أن تبيعيها لأي شخص معك في العمل، ويمكنك أن تأخذي ما تحصلين عليه».

فحملقت آلين في الظرف بجانبها وخفق قلبها بشدة عندما رأت صورة الدعاية الملونة المثيرة التي سقطت من الظرف وهي تحمل اسم الباخرة التي ستقوم بالرحلة كاسيليا.

«كم من الوقت تستغرق الرحلة؟»

سألت وهي تتلعثم محاولة أن تبعد الفكرة التي بدأت تتبلور في ذهنها. إنها لا تستطيع أن تترك جنكس مع الخالة سو.

«أسبوعين فقط لقد كانت إجازة إضافية».

شرحت استيل بمرح قائلة:

«ليست إجازتي الحقيقية بأية حال. إن أسبوعين لا يكفياني كما تعلمين».

وشعرت آلين كأنّ غصة في حلقها. ابتلعت ريقها وقالت:

«أين تذهب هذه الباخرة؟»

أمسكت بالبطاقات ويدها ترتعش. ليس محتملاً أن تستطيع الخالة سو أن تعتني بجنكس أسبوعين كاملين. أم هل هذا ممكن؟

«اليونان...»

ضحكت استيل عندما أجفلت آلين وقالت:

«لا علاقة لهذا بما حكيته لك. لقد ذهبت لليونان في رحلة بحرية في العام الماضي ومن الجائز أني حدثتك عنها. ولأن الرحلة أعجبتني فقد فكرت أن أذهب مرة أخرى. لقد أعجبتني فكرة الذهاب بمفردي أيضاً. إن هناك فرصاً كثيرة في الرحلة البحرية، وقد تعرفت بشخص برازيلي. هل يمكنك أن تتخلصي من التذكرة لأي شخص في المحل؟»

هزت آلين رأسها بالنفي، وذكرت شقيقتها والتذكرة في يدها أن أسمها على

التذكرة.

«لا يمكن لأي شخص آخر أن يستعملها».

فكرت آلين في نفسها أنها الوحيدة التي تستطيع استعمال التذكرة. ويمكنها أن تسمي نفسها استيل فقط من أجل التيسير.

«لم أفكر في هذا، يا للخسارة، إني أكره تبديد النقود».

بلعت آلين ريقها وقالت:

«أستطيع أنا أن أستعملها».

«أنت؟»

وحملقت استيل فيها بدهشة.

«بالطبع تستطيعين. ولكني لم أقترح ذلك من قبل لأني أعرفك وأعرف أنك لن تفكري في ترك الخالة سو و جنكس».

ثم سكتت قليلاً وقالت:

«ظننت أنك قلت أن حالتها تسوء».

«نعم».

شعرت آلين بالاكتئاب لقد كانت فكرة جميلة ولكنها غير مقبولة.

«لا...لا أستطيع أن أذهب في أية حال لأنه ليس لديّ جواز سفر».

«لا تجعلي هذا يضايقك. تستطيعين أن تأخذي جوازي طالما تعيدينه إلي بمجرد رجوعك».

رفضت آلين بإصرار ولكن استيل أخذت تقنعها بأن مسألة غير هامة كمسألة الجواز يجب ألاّ تمنعها. إذا كانت تعتقد أن الخالة سو تستطيع أن تعتني بجنكس فيجب أن تفكر جدياً في الذهاب إلى الرحلة. وقالت إنها ستعيرها بعض الملابس وأي شيء تحتاج إليه.

بعد ساعة وبينما كانت استيل و آلين في غرفة النوم تعدان ملابس البحر وثياب الكوكتيل والأحذية وغيرها من الأشياء التي ذكرت استيل أن آلين

ستحتاج اليها، قالت استيل:

«إن الاسم في قائمة الركاب هو استيل لذلك عليك أن تتخذي اسمي طوال الوقت حتى مع أي شخص تصادقينه على الباخرة».

وكانت آلين قلقة بخصوص جواز السفر، ولكن لأنها لم تكن تتوقع أن تسافر مرة أخرى للخارج في المستقبل القريب فقد شعرت أنه لا داعي لانفاق النقود في عمل جواز سفر لها. كانت الصورة تشبهها تماماً. اسم العائلة هو مارسلاند قالت استيل إنه لن تكون هناك أية مشكلة.

كانت الخالة سو مازالت مستيقظة عندما وصلت آلين للمنزل وهي تحمل حقيبتين أنيقتين ولكنهما ثقيلتان. على الفور أخبرت الخالة سو بالأخبار وبعد أن أفاقت الخالة سو من دهشتها كانت متحمسة تماماً للفكرة مثل أبنة شقيقتها وقالت بدون تردد:

«يجب أن تذهبي يا عزيزتي. سأعتني بجنكس».

«ألا يضايقك هذا؟ لن أذهب إذا كنت تشعرين أنك لن تستطيعي القيام بهذه الأعباء».

«إني أريدك أن تذهبي».

كان صوت السيدة العجوز يحمل ذلك القلق مرة أخرى وقد بدت فيه نبرة غريبة.

«إني أريدك بشدة أن تذهبي في هذه الرحلة. انسي كل شيء عني وعن جنكس يا آلين. لقد مرّت ست سنوات منذ آخر رحلة قمت بها. أم أنها أكثر، لا أتذكر بالضبط».

«سبع سنوات، لقد أخذنا والدي أنا و استيل إلى بورتماوث قبل أن يموت مباشرة».

«إذن فأنت تستحقين هذه الفرصة وأكثر».

ونظرت الخالة سو إلى الحقائب.

«سألقي نظرة على ملابسك الجميلة غداً أثناء وجودك في العمل».

وتوقفت عن الكلام وقطب جبينها قليلاً واستطردت:

«هل سيوافقون على تغيير موعد إجازتك؟»

وهزت آلين رأسها بالموافقة وقالت إن هناك كثيرون سيرحبون بالمبادلة معها لأن إجازتها كانت في شهر أغسطس وهو أحسن شهر بالنسبة الى الاجازات وخاصة للسيدات اللواتي لديهن أطفال في سن المدارس. كانت الخالة سو برغم تعبها الواضح، تريد أن تسمع كل الأخبار وكانت تنصت باهتمام برغم أصوات عدم الرضى الكثيرة التي كانت تصدر عنها بينما آلين تحكي قصتها.

صاحت عندما أخبرتها عن سولاس:

«يا للولد المسكين! إنها حقيرة وتستحق ما يمكن أن يحدث لها إذا قابلها عمه يوماً ما».

«إن استيل ليست خائفة وفي كل حال هو الآن في اليونان، وإذا كان لديه كل هذه الأعمال، فعلى الأرجح أنه لن يكون لديه الوقت حتى لمجردالتفكير في الموضوع».

كانت آلين تأمل بإخلاص ألاّ يفعل ، ولكن حتى في تلك اللحظة كانت تشعر بالخوف من أجل شقيقتها.

قالت الخالة سو وهي تفكر:

«لا أعلم. لقد قرأت قليلاً عن هؤلاء الكريتيين. وهم خبثاء جداً. إن لهم حيلاً غريبة لا يفكر فيها أحد. إنهم جنس مختلف. يقال إنهم مختلفون أيضاً في التكوين الجسدي والمظهر. والكريتيون أكثر اعتداداً بالنفس عن باقي اليونانيين».

وسكتت وهي تفكر ثم قالت:

«رجال مثل الصقور أكثر اعتزازاً بالنفس وأكثر عنفاً واستقامة من جميع اليونانيين. ويسيرون بخطوات واسعة ويتحركون كالملوك في شوارع يقوم

آخرون بإعدادها من أجلهم».

ثم هزت رأسها الأشيب وتابعت قائلة:

نعم، لقد قرأت هذا الوصف في كتاب ما وقد كنت أتذكر دائماً: رجال يعيشون في بلاد تعشش فيها الصقور في الهضبة العليا».

وضحكت بخجل عندما لحظت سمات التعجب على آلين.

«إن ذاكرتي سليمة، ولكن جسمي هو الذي يتعبني. في كل حال تعود لأستيل. أنا لا أحب أن أكون في مكانها لو حدث والتقت بهذا الرجل، لأنها لن تخرج سالمة. وفي رأيي أنها يجب أن تحرص على نفسها».

٣ ـ التلميذة... خجولة!

كان انفعال آلين يزداد كل يوم باقتراب موعد السفر. وأخيراً جاء موعد الرحيل وكانت سيارة الأجرة تقف أمام الباب وهي تقبل الخالة سو مودّعة وتشكرها مرة أخرى على موافقتها للعناية بجنكس.

«أشكرك كثيراً جداً على كل النقود التي قدمتها لي، وإن كنت لم أحب فكرة بيعك للعقد الذهبي...»

«كلام فارغ! لقد بعته لهدف نبيل. وفي كل حال كنت سأتركه لك متأكدة أنك لن ترتديه أبداً لأنه موضة قديمة. ولكن تذكري أن ما معك ليس كثيراً. فكوني حريصة في الانفاق، ولكن لا تدخري شيئاً منه لتعودي به».

«لا يا خالتي لن أفعل. ولكنني منفعلة جداً لدرجة أني أريد أن أغني بصوت عال!»

ابتسمت لها الخالة سو بحب وهي تلاحظ يديها الصغيرتين الجميلتين تتحركان بعصبية وهما تطبقان على حقيبة اليد الجديدة التي اشترتها لها السيدة العجوز.

«مع السلامة يا عزيزتي. لقد وضع السائق حقائبك في السيارة وهو ينتظرك».

واحتضنتها آلين وقالت:

«مع السلامة. إني سعيدة أن جنكس في المدرسة. كانت ستبكي وتطلب المجيء معي، وكنت سأتألم من أجلها. قولي لها إني سأرسل لها بطاقات مصورة وسأحضر لها هدية».

«سأخبرها. أرجو أن تستمتعي برحلتك يا عزيزتي».

كانت الساعات التالية كالحلم. أولاً المطار ومنه طارت إلى فينسيا حيث كانت شركة السياحة قد نظّمت رحلة لمشاهدة معالم المدينة. وبعدها استقلت آلين والمجموعة باصاً، نهرياً للوصول إلى الميناء حيث كانت الباخرة كاسيليا الضخمة تلمع في الشمس. وكان الضباط يستقبلون الركاب بابتسامة. وقاد آلين إلى غرفتها أحد مضيفي السفينة حيث وجدت سريراً مريحاً ودوشاً خاصاً وخزانة وطاولة للزينة. وكانت الساعة تشير إلى السادسة والنصف مساء. وكان لديها الوقت الكافي فقط لتفرغ حقائبها وتستعد للعشاء.

وعندما دخلت غرفة الطعام كان هناك زوجان شابان يجلسان إلى مائدتها وقدما نفسيهما باسم جيم و دونا وايلدنغ تذكرت آلين اسمها المؤقت وأخبرتهما أنها استيل مارسلاند وتحادثوا للحظات وتنبأت دونا أن الشخص الرابع إلى مائدتهم سيكون شاباً وضحكت قائلة:

«هذا يحدث دائماً. لقد تقابلت أنا و جيم بهذه الطريقة بالذات».

وقبل أن تنتهي من كلامها أحضر المضيف شاباً أسود الشعر ليشغل المكان الرابع، فقالت ضاحكة:

«لقد أخبرتك».

كان اسم هذا الشاب هال، وكان من النوع السودود، وقد أخذ الأربعة يتبادلون الحديث وفي نهاية الوجبة اقترح هذا الشاب أن يستمروا معاً طوال الرحلة. وافق جيم و دونا على الفور ولكن آلين تضايقت لأنها لم تكن تريد أن يبقى هذا الشاب بجانبها طوال الرحلة. لقد حذّرتها الخالة سو من مثل هذا الاحتمال قائلة لها:

«مرة ذهبت في رحلة بحرية ووجدت نفسي مرتبطة بسيدة كانت تريد أن تبقى معي طوال الرحلة، ولم أستطع أن أخبرها أن تبحث عن شخص آخر. وبذلك لم يكن أمامي لأن أصادق أحداً. حاولي الاختلاط يا عزيزتي ولا تربطي نفسك

بشخص واحد. على الأقل ليس قبل أن تنظري حولك وتختاري».

ونظر الثلاثة الآخرون بتساؤل إلى آلين التي لم تستطع إلاّ أن توافق. وعلى الفور وجدت نفسها تجلس معهم إلى مائدة في النادي الليلي تحت الأضواء الخافتة حيث شربوا ورقصوا وشاهدوا العرض. شعرت آلين بالجو الخانق المتلىء بالدخان فقالت إنها ستصعد إلى سطح الباخرة لتستنشق الهواء. وبحماس قال هال إنه سيصعد معها. وعضت آلين على شفتيها.

وغمزت دونا بعينيها، وشعرت آلين بالاكتئاب وأنها لن تستطيع الافلات من هال الذي اقترب أكثر من اللازم أثناء الرقص، والذي وضع الآن ذراعه حول خصرها بتملك. تساءلت آلين إذا كان الخجل هو الذي جعلها لا تقبل صحبة هذا الرجل لبقية الرحلة. إنها لا تستطيع أن تقول إنها تكرهه فمن الجائز أن يكون الخجل وعدم الخبرة هما السبب في هذا الشعور الذي تحسه.

بعد لحظات قليلة، على المركب، قالت آلين إنها تريد أن تذهب للنوم. فاحتج هال بينما اتجهت لتنزل السلالم. لقد شعرت بالضيق منه لأنه قال كلاماً سخيفاً بينما وقفا على سطح المركب. لقد طلب منها أن تجلس معه على كرسي واحد! كيف تستطيع أن تتخلّص منه؟ إنها لا تستطيع أن تفكر في طريقة بدون أن تكون وقحة معه.

ولكنهم قضوا اليوم التالي، يوم السبت، بطريقة لطيفة في اللعب والسباحة في حمام السباحة. وبالطبع في تناول وجبات الطعا م الرائعة التي كانت تقدم لهم بواسطة مضيفين مبتسمين. وفي يوم الأحد استأجروا سيارة أخذتهم في جولة لمشاهدة مدينة أثينا. وفي الصباح التالي ذهبوا لـ كيب سونيون واستحموا في البحر وعادوا للسفينة لتناول غدائهم.

وعبّرت آلين عن دهشتها وهي تقف على سور السفينة مع الثلاثة الآخرين. «لم أكن أعلم أنهم يأخذون ركاباً من الموانىء التي تمر بها السفينة».

كانت السفينة ستغادر ميناء بيرية بعد ساعة عندما صعد إليها بعض

الركاب يحملون حقائبهم، أغلبهم من اليونانيين.

قال جيم:

«إنهم يأخذون أحياناً بعض الركاب الجدد كما ينزل البعض. لقد لاحظت ذلك عندما وصلنا».

لم تسمع آلين ما قاله. كان كل انتباهها مركزاً على أحد الركاب الذي كان يصعد على سلم الباخرة. كم هو طويل! هل هو يوناني؟ كانت ترى وجهه فقط من جانبه وهو يصعد السلم الطويل برشاقة ماكرة. كان مظهره ينم عن الكبرياء والأصالة واعتياد السلطة وإعطاء الأوامر. وزاد من هذا الانطباع لديها أن الضابطين الواقفين بأعلى السلم أخذا وضع الانتباه عندما اقترب منهما ثم رفع رأسه وللحظة عابرة قابلت عيناه عيني آلين ثم نظر بعيداً واستمر يصعد السلم ببطء. لكن في هذه اللحظة العابرة حدث شيء عجيب لآلين. شعرت كأنها تلقت صدمة جعلت كل حواسها تستيقظ وتنتظر في توقع منتشي وأخذ قلبها يدقّ بعنف لدرجة أنها وضعت يدها عليه وشعرت به ينبض بارتباك.

«إني شديد الأسف».

جاء هذا الاعتذار في صوت ممتلىء رنان وبلكنة تكاد لا تلحظ من الرجل بعد أن اصطدم بها وهي في طريقها إلى غرفة الاستقبال لتناول الشاي بعد الظهر. وتساءلت آلين إذا كان ذلك قد حدث مصادفة. لقد كان الممر واسعاً وليس هناك ما يبرر الاصطدام.

«لا عليك».

نظرت إلى وجهه فوجدته أجمل وجه رأته في حياتها، ومع ذلك فهو مرعب أيضاً وتبدو ملامحه كأنها قدّت من غرانيت ولها نفس قسوة التماثيل اليونانية القديمة المنحوتة والتي تتسمّ ملامحها بالخشونة والاصرار والتي تنبىء عن انعدام المشاعر والعواطف تماماً لدى صاحبها. نظر بقوة في عينيها فشعرت أنه ألمّ بكل صغيرة وكبيرة تخصها. كانت جبهته منخفضة وبها خطوط وكان حاجباه السوداوان

منحنيين قليلاً كما في التماثيل الرومانية القديمة، وعظام الخدين مرتفعين وبارزين تحت جلده المشدود الغامق. وكان شعره الأسود الكثيف متموجاً بطريقة جذابة وفي نفس اللحظة رفع يده النحيلة ليزيح شعره الذي سقط على جبهته.

«أنا آسف لأني لم أنتبه إلى طريقي، أرجو ألاّ أكون قد آذيتك».

«بالطبع لا».

قالت آلين وهي تبتسم وتنظر إليه وهي تتذكر الصدمة التي سببها لها من ساعة واحدة فقط:

«لا داعي لأن تعتذر، لقد كانت رغماً عنك».

وحاولت ألاّ تشعر بالخجل، ولكنها أحست أن لونها قد احمر وأنها لسيت واثقة من نفسها كأستيل مثلاً في مثل هذا الموقف. وحدق الرجل في وجهها فاستغربت للتعبير على وجهه. كان يبدو مندهشاً ومتحيراً كما تصورت ولكن ذلك كان للحظة قصيرة ثم قال:

«إنك طيبة جداً».

ثم ابتسم ابتسامة جذابة جعلت قلبها يدق بشدة وسألها:

«هل كنت داخلة لتناول الشاي؟»

هزت رأسها بالايجاب وهي في حالة من الانبهار ثم قالت:

«نعم... نعم».

«إذن من الجائز أننا نستطيع أن نتناوله معاً؟ هل أنت بمفردك؟»

هزّت رأسها مرة أخرى وقالت إنها بمفردها. ولكنها في نفس الوقت شعرت بشيء غريب أنه يعرف جيداً أنها بمفردها.

دخلا غرفة الاستقبال حيث كانت موسيقى البزق الهادئة تأتي من منصة صغيرة يجلس عليها موسيقيون أربعة. وقادها الرجل بلمسة رقيقة على ظهرها إلى إحدى الموائد في ركن منعزل وسحب الكرسي لها. ولم تكن آلين قد نظرت حولها عند دخولها غرفة الاستقبال ولكنها كانت تعلم أن هال كان ينتظرها برغم أنها

لم تعده بشيء. أما جيم و دونا فقد فضّلا أن يبقيا على السطح ويستمتعا بالشمس. وقدّم الشاي والكعك وتناولت آلين الابريق من على الصينية وهي تشعر بشدة أن هذا اليوناني الطويل الذي يميل للخلف في كرسيه وينظر إليها من خلال عينين نصف مغلقتين يسحقها. كما شعرت أنه متحيّر برغم أنها لم تستطع أن تفهم سبباً لذلك. كما شعرت أنه يتّخذ مظهر الاسترخاء برغم أنه في حقيقة الأمر متنبه تماماً.

ناولته فنجان الشاي فشكرها ثم قال ببطء وهو ينظر إليها بتركيز:

«اسمي ديوريس...»

تردد قليلاً كما لو كان يريد أن يرى إذا كان هناك أي رد فعل لهذا الاسم. ولكنها فقط ابتسمت وانتظرت فسحب نفساً عميقاً ثم قال إن اسمه الأول سيمون ثم سألها:

«ما اسمك؟»

وابتسمت ولكنها شعرت أن هناك شيئاً آخر غير المرح وراء هذه الابتسامة. كادت تنسى وتنطق اسمها الحقيقي ولكنها توقفت وقالت:

«استيل مارسلاند».

وبمجرد أن نطقت الاسم شعرت بشعور مفاجىء بالأسف لأنها اضطرت أن تكذب. بشكل ما شعرت أنها لا تريد أن تكذب على هذا الرجل. كما أنها كانت تريد أن تكون نفسها في هذه اللحظة آلين وليست استيل. ولكنها كانت مضطرة للكذب لأن اسمها كان في قائمة الركاب وكثير من الركاب يلقي نظرة على هذه القائمة. لقد فعلت ذلك ومن المحتمل أن سيمون فعل ذلك أو سيفعله قبل أن تنتهي الرحلة.

«استيل مارسلاند...»

كرّر الاسم كما لو كان يفعل ذلك لنفسه بينما استمر ينظر إلى آلين بتلك النظرة المركزة ولكن هذه المرة من فوق حافة فنجان الشاي. وبعد لحظة سكون

ابتسم ابتسامة غامضة استمرّت عالقة بشفتيه وبدا كما لو كان بعيداً جداً عنها. وبرغم ذلك كانت عيناه مثبتتين عليها. فأرخت رموشها وقد شعرت بشيء من الاضطراب بسبب تلك النظرة المركزة. وبعد فترة سألها:

«لماذا تسافرين بمفردك؟»

هزت كتفيها بعدم اهتمام متكلف.

«إني أحب أن أسافر بمفردي».

«هل تفعلين ذلك كثيراً؟»

«هذه أول مرة».

أجابت بصراحة ثم لحظت التناقض في أقوالها:

«ولكنك قلت الآن إنك تحبين السفر بمفردك».

كان صوته هادئاً ولكنها شعرت فيه بنغمة خفية أثارت فيها شعوراً بالقلق ثم تلا سؤاله سكون غير مريح.

قالت بارتباك بعد فترة:

«لم يكن هناك أحد اصطحبه».

ولدهشتها وحيرتها ارتسم عل شفتيه تعبير لا يمكن وصفه إلاّ بالكره والازدراء. ثم قال بنفس النبرات الهادئة:

«أظن أنك كنت تعلمين أنك لن تبقي بمفردك لمدة طويلة؟»

فقطبت جبينها واحمر وجهها.

«لا أظن أني أفهم ما تقصده».

وبرغم أنها حاولت أن تبدو هادئة فقد شعرت بأن الحديث قد بدأ يفقد روحه. كان سيمون يبدو ساخراً وبه شيء من التعالي. كما بدت في عينيه السوداوين نظرة لم تعجبها، وإن لم تستطع أن تفهمها. نظرت بعيداً ثم أخذت قطعة كعك. ويبدو أن سيمون لحظ ضيقها. ولشدة ارتياحها حاول أن يصلح الأمر فقال بنفس الطريقةالجذابة التي اعتذر بها عندما اصطدم بها:

«إنك جميلة جداً لدرجة أنه من المستحيل أن تبقي بمفردك طويلاً. بلا شك إنك تعرفين هذا؟».

كان صوته رقيقاً وكانت عيناه تبرقان بالاعجاب الذي لا يخفيه والابتسامة على شفتيه تعبّر بوضوح عن صداقته. فوجدت آلين نفسها تستجيب بابتسامتها الحاضرة.

وقالت محاولة الثرثرة بعد أن بحثت عن شيء أكثر جدة فلم تجد:

«أظن أنك تقول ذلك لكل النساء»

ضحك فظهرت أسنانه البيضاء المنتظمة.

«أظن أني قلت هذا التعليق في عدة مناسبات».

واعترف بذلك وهو يميل في كرسيه ويأخذ قطعة من الفطير:

«ولكني صادق تماماً عندما أقول ملاحظاتي لم أصادف من قبل فتاة أجمل منك».

ضحكت عيناه قليلاً لخجلها وارتعاش شفتيها، وبدا عليه أنه يقدر عصبيتها ونقص الثقة في نفسها. وتساءلت إذا كان معتاداً على التصرّف مع النساء بهذه الطريقة عندما يتعرّف عليهن في البداية. كان يتمتّع بنوع من السمو وحسن التصرف الطبيعي، مما يجعل أية امرأة لا تتمتع بدرجة عالية من الثقة بالنفس ترتبك أمامه، ولا تعرف كيف تتصرف لأنه كان حقيقة ذا شخصية ساحقة. وأخذت آلين تعبث بشوكتها. ولحظت التغيير في تعبير وجهه الذي ترك لديها الانطباع أنه إلى جانب المرح الذي يبدو في بريق عينيه فهو يحتفظ بسر معين يمده بقدر كبير من الجاذبية. ثم قال وكأنه يريد أن يجعلها تشعر بالارتياح:

«أظن أنك سترقصين هذه الليلة؟»

«نعم بالطبع».

«إذن فسأطلبك لكل الرقصات».

«أوه! هل ستفعل؟»

كانت متضايقة من نفسها لهذا السرور الذي شعرت به. لذلك لم يكن غريباً أن يشعر بالارتياح. فقد كانت تتصرف كتلميذة خجولة قليلة الخبرة. ضحك سيمون وناولها بعض الكعك.

«بالتأكيد سأفعل. فإني لم أقابل فتاة جميلة مثلك حتى أتركك تذهبين».

ونظرت إليه بانزعاج وهي تتساءل إذا كان هناك إشارة ماكرة في هذه الكلمات. وللحظة عابرة تذكرت سولاس الذي لم يكن لديه أي ثقة بنفسه. بالتأكيد لم يكن لديه الاتزان والثقة بالنفس الذي يملكه هذا الرجل ولكنه كان أصغر سناً بكثير. كان عمره واحداً وعشرين عاماً فقط بينما هذا الرجل يبدو في منتصف الثلاثينات. وكان هناك يونانيون كثيرون على ظهر الباخرة كاسيليا ولكنها لم تكن تعرفهم، ولذلك لم تستطع مقارنة سيمون بيونانيين آخرين. ولكنها شعرت أنه ليس مثل بقيتهم. كان يبدو نوعاً فريداً أكثر احتراماً وأكثر نبلاً. فقالت له آلين مستفسرة:

«لقد ركبت المركب في بيرية، هل ستبقى لنهاية الرحلة؟»

«نعم ركبت في بيرية. كنت في أثينا لعمل، والآن في طريقي لبيتي».

«هل تعيش في إحدى الجزر؟»

«نعم أعيش في جزيرة رودوس».

وشعرت أنه تردد قليلاً قبل أن يذكر اسم الجزيرة. ثم قررت أن خيالها قد صور لها ذلك.

«إذن ستغادر المركب؟»

قالت ذلك وهي تشعر بخيبة أمل، خيبة أمل أكثر من اللازم.

«إننا سنصل هناك بعد ستة أيام من الآن».

«نعم أظن ذلك».

قال وهو يخفي تثاؤبه وكان يبدو شارد الفكر. ولم ترد آلين أن تقطع عليه أفكاره فأخذت تحتسي الشاي وهي تتساءل إذا كان متزوجاً وله عائلة. وكان يبدو

من المستحيل أن رجلاً بهذه الدرجة من الجاذبية يبقى بدون زواج، ولكنها أخذت تحدّث نفسها أنه ليس من النوع الذي يحب الزواج. لا بدّ أن له مغامرات وعلاقات كثيرة، ثم توقفت عن التفكير وهي تبتسم لنفسها. ولكن ماذا يهمها إذا كان متزوجاً أو غير متزوج أو إذا كانت له علاقات كثيرة؟

«هل كنت تعيش دائماً في رودوس؟»

وسألته مستأنفة الحديث:

«إنها جزيرة جميلة جداً، أليس كذلك؟»

«إنها فعلاً جميلة، أنا لم اعش فيها دائماً فقد عشت لفترة قصيرة من طفولتي في أركاديا».

«أركاديا؟ إن هذا الاسم يجعل الانسان يفكر في منظر المراعي والهدوء والبساطة. إن المرء يفكر في الأشجار الظليلة وخرير المياه في الجداول والتلال الخضراء المزدهرة والمروج الخضراء...»

وتوقفت آلين عندما لاحظت التغيير في تعبيره. كان ما زال متحيراً ولكن الحيرة ذهبت وارتفع حاجبه بشكل مضحك يدل على سروره.

«وجنيات ورعاة...»

أكمل بضحكة جعلتها تنتشي.

«أنا آسف لأن أخيب ظنك. ولكن ليس هناك ما هو أبعد من الحقيقة عن الانطباعات التي يعطيها الشعراء. إن أركاديا منطقة جميلة متآكلة ذات شعب مظلمة وجوّها قاس وأرضها حجرية مجدبة في معظمها. أما بان الخيالي وهو يرقص مع جنياته بمصاحبة المزمار فهي صورة جميلة أسطورية تماماً كما لا شك تعلمين».

سكت لحظة قبل أن يقول:

«الجنيات والرعاة كفوا عن الرقص. على رمال شاطىء لادون المغطّى بالزنابق».

فضحكت آلين ولكن برنة حزن في صوتها:

«لقد أفسدت الصورة الجميلة التي كانت عالقة بذهني منذ تركت المدرسة».

«متى كان ذلك؟»

«تقصد منذ تركت المدرسة؟»

مال سيمون برأسه جانباً وهي حركة يكررها ولحظت بسرعة اللهجة العدائية في صوته وهو يقول:

«لا تراوغي يا استيل إني أسألك عن سنك؟»

فأحنت رأسها لهذا التوبيخ الصريح وأخبرته أن سنها اثنان وعشرون عاماً. واستقبل ذلك بهزة صغيرة من رأسه لم تعجب آلين لأن أغلب الناس كانوا يستغربون عندما تخبرهم بعمرها قائلين إنها تبدو أصغر كثيراً.

«احك لي المزيد عن أركاديا».

قالت ذلك وهي تشعر مرة أخرى ببعض الضيق من التغيير الواضح في تعبيره. ماذا كانت تلك الأفكار التي تجول بخاطره وتجعل جبينه يسود في هذه التقطيبة الهائلة؟

«ما الذي تريدين أن تعرفيه؟»

تغير صوته بسرعة إلى نغمته الأولى المرحة.

«عن الجنيات والرعاة؟ نعم إن هناك رعاة لكنهم رجال قد شاخوا قبل الأوان وتغضنت وجوههم وتجعدت. أما الجنيات فستجدين السيدات يعملن على المغازل وقد تعرّقت أيديهم السمراء التي شوهها العمل وهنّ يلبسن الثياب السوداء الواسعة».

ونظر إلى آلين وهي تجلس أمام المائدة وقد وضعت ساقاً على ساق وكاحلها الرقيق يتحرك مع الموسيقى، وأظهر ثوبها القطني المشجر ذو الفتحة المتوسطة خطوط جسمها الجميل. وزاد من إغرائها شعرها الذهبي بلون عسل النحل وهو ينسدل بكثافة على إحدى كتفيها.

«أوه، يا إلهي!»

تنهدت آلين وقد اربكتها نظرته الجامحة.

«تغيّرت الصورة تماماً الآن».

«طلبت أن أحكي لك المزيد».

فهزت رأسها بأسف.

«إني آسف يا استيل».

فابتسمت ثم قال على غير انتظار:

«اخبريني عن نفسك، عن والديك، عملك الذي تعيشين منه».

سألها ذلك وهو يراقبها بدقة».

«لقد مات والداي».

توقفت عن الكلام لأنها لسبب ما لم ترد أن تخبره عن عملها في المتجر أو حياتها الكئيبة. وبالذات لم تكن تريد أن تخبره عن جنكس لكي لا تعطيه مادة للتسلية على حسابها لأن أحدهم قد استغل طبيعتها وترك لها ابنته غير المرغوب فيها.

وراعها أنه لم يعبر عن دهشته لموت والديها فقد كان أغلب الناس لا يصدقون ذلك لحداثة سنها.

«وما هو عملك؟ إنك تعملين لتكسبي عيشك على ما أظن؟»

نظرت إليه بسرعة. وشعرت بشيء من السخرية في صوته وهو ينطق كلمة عملك أم هل تصورت هي ذلك؟

فترددت، إذ أنها لا تريد أن تخبره أنها تعمل بائعة في متجر. ليس لأن في ذلك ما يعيبها، إنه عمل شريف، ومع ذلك كان لديها شعور بأنها تريد أن تكون استيل الآن وليس هي نفسها، فقالت بسرعة كما لو كانت تريد أن تنتهي من أمر كريه.

«إني أعمل موديل».

«تعملين... موديل؟»

نظر إليها بطريقة جعلتها تشعر أنه يخلع عنها ملابسها، وقد احمر وجهها.

«موديل لأي شيء؟ موديل للملابس أم مجرد موديل؟»

فازداد احمرار وجهها وشعرت بالغضب والضيق. إن هذا الرجل اليوناني يحرجها.

«إني موديل للملابس».

أجابت بهدوء وهي تتحاشى نظراته.

«أنا آسف. سامحيني.»

نظرت إليه آلين وهي تشعر برغبة في البكاء. لقد بدا على سيمون أنه يشعر بأسف حقيقي لما أوحى به. شعرت أنه لا يريد أن يعاديها.

«لا يهم».

«أنا آسف».

«أريد أن أصعد إلى السطح».

وعندما هماّ بالوقوف ألقت آلين نظرة حولها. كان هال يجلس بجانب إحدى النوافذ يراقبها. وبرغم أنها لم تستطع أن تتبينّ تعبيره من هذه المسافة إلاّ أنها خمنت أنه لا بد غاضب ومجروح، ولكن لم يكن لديها الوقت لتعطف عليه. لقد كانت هذه هي إجازتها طوال العمر وهي تنوي أن تستمتع بكل ما يمكن أن تحصل عليه. ضاع منها ثلاثة أيام. ثلاثة أيام قضتها في صحبة هال. وهي لا تريد أن تكون معه أكثر من مؤدبة. فرض نفسه عليها وكانت قد بدأت تشعر أنها لا تستطيع فكاكاً منه وأنها ستقتصر على صحبته هو و دونا و جيم طوال مدة الرحلة. أما الآن فقد وجدت الاثارة. لقد أبدى سيمون رغبته في الرقص معها طوال الأمسية وهي تعلم أنه يقصد ذلك. ويبدو أنه يريد أن يكون رفيقها طوال الستة أيام التي سيقضيهاعلى ظهر الباخرة. وإذا وجدت نفسها بعد ذلك غير مرغوب فيها من هؤلاء الثلاثة فإنها لن تهتم. إن صحبة سيمون تستحق

ذلك. لقد لحظت أن كثيراً من الفتيات تنظرن إلى سيمون ولا عجب فهو أخاذ. كما شعرت بنظرات الحسد الموجهة إليها. وقام سيمون ببطء من كرسيه ونظر إلى آلين من أعلى وهي تلتقط حقيبتها الصغيرة وتقوم من كرسيها. وضع يده على كتفها فارتعشت تحت لمسته. هل كانت هذه بداية قصة عاطفية على ظهر الباخرة؟

كانت تشعر أن عقلها وأعصابها وكل كيانها قد تأثر بينما كانت تسير معه مخترقين قاعة الاستقبال وكل العيون تراقبها حتى وصلا إلى الباب وخرجا للسطح.

«هل نجلس؟»

فتح سيمون الكراسي بدون انتظار لرد آلين. كانا قد سارا إلى آخر السفينة بعيداً عن الزحام ووضع سيمون الكراسي قريباً من السور. جلسا ومدّ سيمون يده ووضعها على يدها التي استرخت على اليد الخشبية للكرسي استدارت ونظرت إليه وقد غلبها الخجل. كان في عينيه تعبير جعل قلبها يدقّ بعنف. هل انجذب لها حقيقة؟ تساءلت. وبأنفاس متقطعة سألته:

«هل... هل تعيش بمفردك؟ أم هل لديك أقارب؟»

ردّ بصوت به نبرة واضحة من السخرية:

«إذا كنت تسألين عما إذا كنت متزوجاً فالجواب... لا».

فارتعشت شفتاها واحمرّ وجهها.

«من المحتمل أنك تظنين أني لن أعترف بذلك لو كنت متزوجاً. وأنا نفسي لا أعرف هل كنت سأعترف أم لا. لو كنت متزوجاً».

قال ذلك بصراحة ثم أضاف وهو يفكر:

«أظن أن هذا سيتوقف على أي نوع من النساء ستكون زوجتي. في كل حال بما أني غير متزوج فلا معنى للسؤال».

لم تعلق آلين على ذلك.

«هل كان يهمك لو كنت متزوجاً؟»

فنظرت إليه وهي لا تفهم سؤاله تماماً.

«لا أفهم ماذا تقصد. لماذا يهمني إذا كنت متزوجاً أم لا؟»

«سنصبح أصدقاء. أليس كذلك؟»

قالها بصوت رقيق ولهجة مقنعة ومع ذلك بثقة وكبرياء. كان بلا شك متأكداً من نفسه. هذا اليوناني الأسمر بمظهره وجسمه المتميز. ماذا ستكون نتيجة هذه الصداقة كما يسميها؟ لم تكن آلين ساذجة تحلم بمغامرة عاطفية سريعة تنتهي بالزواج. لم يكن ديوريس ذلك النوع من الرجال. ولكنه في الحقيقة كان عكس ذلك. كان يمكن أن يكون خطيراً لم تخدع آلين نفسها. ولكن ألم يكن هذا الخطر مثيراً؟ كانت حياتها رتيبة وخالية من أية إثارة حتى الآن. والاثارة بأي شكل مغرية. ولكن آلين كانت تتوقع مجازفات وإغراءات. أما هذه الصداقة فهي مثيرة لنفس طبيعتها الغامضة. لا بد بالطبع أن تنتهي بالوداع ويفترقا ويذهب كل منهما في طريقه. ولكن الوداع لن يحدث قبل ستة أيام من الآن. وفي هذه الأثناء فإن آلين تريد أن تعيش ولكن بالطبع بدون تهور. إنها ليست استيل. وبرغم أنها كانت في بعض الأحيان، وخاصة عندما كانت تواجه بالأعباء المالية الكثيرة، تقول لخالتها إنها لا تمانع في اتخاذ صديق. إلاّ أنها لم تكن تعني ذلك حقيقة.

«لقد سألتك إذا كنا سنصبح أصدقاء».

قطع عليها صوت سيمون الواضح الرخيم تفكيرها فابتسمت وهزت رأسها.

«نعم سنصبح أصدقاء».

أجابت وهي تأمل ألاّ تكون قد بدت متلهفة أكثر من اللازم.

٤ ـ كل الرقصات لي

عندما فتحت ألين عينيها بمجرد أن استيقظت تراءت لها صورة سيمون. لقد رقصت معه حتى الساعة الثانية صباحاً، وحتى بعد ذلك فقد بقيا معاً على سطح الباخرة نصف ساعة أخرى تقريباً. كان صوته الحنون عالقاً بذهنها وكذلك ابتسامته. وكانت قبلته رقيقة وطريقة معاملته لها محترمة. هل كانت مخطئة في تقديرها الأول عن شخصيته؟ لقد توقعت بعد أن رقصت بين ذراعيه كل هذه المدة في جو النادي الليلي الشاعري ذي الاضاءة الخافتة أن يقترح ما يضايقها ولكنه لم يفعل أكثر من أن يحيط خصرها بذراعه وهما على سطح السفينة. وعندما قبلها قبلة المساء أمسك بوجهها بين يديه ونظر بعمق في عينيها وأخبرها أنها جميلة. ثم أوصلها إلى قمرتها وقبل يدها ووعدها أنه سيكون في الساعة السابعة والنصف من صباح الغد في حمام السباحة.

السابعة والنصف... إن الشمس تغمر الكابينة... لقد استيقظت من أحلامها ومدّت يدها نحو الساعة فوجدتها السابعة والربع فقفزت من سريرها مصمّمة على ألاّ تفقد دقيقة واحدة من الدقائق الثمينة. وابتسمت في المرآة. هل كانت تلك الفتاة المرحة هي نفسها البائعة المرهقة التي تقضي حياتها في المتجر تلبي طلبات الزبائن؟

وأخذت تدندن بالأغنية التي تقول: كنت أستطيع أن أرقص طوال الليل، وهي تدور حول نفسها في مساحة القمرة الصغيرة وقالت لنفسها: هذه هي الحياة!

كان سيمون يرقد على الماء ووقفت تنظر من أعلى إلى رأسه النبيل وكتفيه

العريضتين وجسمه الأسمر النحيل والشعر الذي يغطي صدره. وسريعاً ما رآها فابتسمت عيناه وزادت ابتسامته كما لو كان يسمع دقات قلبها العنيفة وقال مشجعاً:

«هيا تعالي، إن الماء دافىء».

واستجابت لدعوته وغاصت في الماء، فسبح سيمون في اتجاهها ولمست يداه خصرها بمجرد ظهورها على سطح الماء، فاضطربت ولكنها كانت سعيدة.

«أوه! ربما يرانا أحد».

«فليروا! إنك فتاتي».

إنك فتاتي... يا لها من كلمات رنانة ومعبّرة. فازدادت دقات قلبها إذ كان يبدو مخلصاً، ومع ذلك تمالكت نفسها بحزم وحاولت أن تفكر في أمور عملية ذاكرة أنه بعد أسبوع سيودع كل منهما الآخر إلى الأبد. ومع ذلك عندما أدارت رأسها لم تستطع إلاّ أن تلاحظ الرقة في ابتسامته. فخرجت منها تنهيدة صغيرة وتمنّت لو كان لديها خبرة أكثر بالرجال حتى تستطيع أن تميز بين الاخلاص والغزل غير المسؤول. الخالة سو كانت على حق عندما أكدت أنها يجب أن تخرج أكثر.

وأسرّ إليها وهما يعومان جنباً إلى جنب في حمام السباحة:

«إنك تحمرين خجلاً بطريقة ساحرة أكثر من أي امرأة أعرفها».

وكانت الشمس تستطع بشدة وتجعل كل شيء يلتهب بالضوء بينما ظهرت جزيرة في الأفق.

«هل تعرف نساء كثيراتٌ؟»

حاولت أن تبدو غير مهتمة ولكن نظرة غريبة بدت في عيني سيمون وقال:

«أي رجل لا يعرف كثيرات... خاصة هذه الأيام؟»

ولم ترد آلين وشعرت أن هناك رنة ازدراء وهو يقول:

«وأنت يا استيل؟ لا تخبريني أنك لا تعرفين الكثير من الرجال لأني لن أصدقك»:

استدارت بعيداً عنه وقد آلمها كلامه لدرجة أخافتها. هل تخبره بحياتها؟ وأنها لا تعرف رجالاً لأنه لم يكن لديها الفرصة لأن تقابل أي رجل؟ هل تخبره عن

جنكس وتكشف له كيف استغفلها كيت وكادت تطلعه على اسرارها وتعترف له أنها كذبت عليه عندما أخبرته أنها تعمل كموديل. ونظرت إليه وعلى الفور غيرت رأيها عندما رأت ملامحه المتوترة وكذا التغيير الغريب في عينيه. إنه لن يهتم بتفاصيل حياتها الخاصة الرتيبة الكئيبة. إنها بالنسبة إليه فتاة أخرى كباقي الفتيات، رقيقة لطيفة يسبح معها ويرقص ويتسلىّ معها ويمضي الوقت في محادثات تافهة كما يفعلان الآن. حاولت أن تجاريه فقالت بجرأة:

«بالطبع أعرف كثيراً من الرجال... أية امرأة لا تعرف؟»

«هل تتفاخرين بغزواتك؟»

سألها ذلك بعنف فشعرت بالخوف يسري في عروقها وحملقت فيه وهي غير مصدقة لما يحدث. فلو لم يكن عمر صداقتها بهذا القصر لاعتقدت أن ثورته سببها الغيرة.

«لا أنا لا أقصد ذلك.»

وكانت قبضته على معصمها كالحديد فصاحت:

«انك تؤلمني يا سيمون.»

خفف من قبضته على معصمها ولكنه لم يتركها.

«إنني لم أقصد إيذاءك.»

وخف غضبه ورق وجهه ومرة أخرى شعرت أنه لا يريد أن يغضبها.

«هيا تعالي نخرج من هنا، سبحنا ما فيه الكفاية. وفي كل حال فإن وقت الافطار قد حان».

ورفع التغيير السريع في مزاجه من روح آلين المعنوية. وكانت تغني بصوت منخفض وهي تأخذ حمامها في كابينتها ثم ارتدت شورتاً أزرق فاتحاً وقطعة عارية لحمام الشمس ومشطت شعرها حتى لمع وكانت عيناها تبرقان كالنجوم. وعندما تركت كابينتها وذهبت ناحية المطعم كانت تشعر كأنها تطير على أجنحة الهواء من فرط السعادة.

وكان سيمون ينتظرها على الباب ودخلا معاً حيث قادها إلى طاولة صغيرة

في ركن بجوار الشباك. وكان الركاب يتناولون وجبة الافطار في أي وقت يشاؤون وعلى أية مائدة يختارونها. وقال سيمون بحزم بينما كان الافطار يقدم لهما:

«يجب أن نفعل شيئاً لنبقى معاً عند تناول وجباتنا، وسأبحث ذلك مع المسؤول».

ووافقت آلين على هذا الاقتراح وقد ملأتها السعادة التي ظهرت في عينيها وفي ابتسامتها. ولكنها قالت:

«أنا مع ثلاثة آخرين. إني أتحرك معهم منذ ركبنا السفينة».

«حسناً ستتحركين معي الخمسة أيام القادمة. لذلك من الأفضل أن تخبريهم بذلك، ما هو رقم مائدتك؟»

أخبرته وبرغم أنها لم تكن تتمنى أكثر من أن تقضي أطول وقت ممكن معه إلا أنها شعرت أنه ليس من اللائق أن تترك الآخرين، فحتى مجرد طلب تغيير المائدة يعتبر إهانة لهم. ولكنها لم تعبر عن رأيها في هذا الموضوع لأن سيمون منعها من ذلك.

«سأذهب لأرى المضيفة بينما تذهبين لاحضار حقيبتك وما تحتاجينه. ثم أضاف وهو ينظر إلى ساعته:

«سنرسو بعد دقائق وإذا كنت تريدين مشاهدة ميكونوس جيداً فإننا يجب أن نترك الباخرة بأسرع ما يمكن بعد الافطار».

وبينما هي ذاهبة إلى قمرتها اصطدمت بدونا وقبل أن تستطيع الكلام تساءلت الأخيرة ضاحكة:

«حب مشتعل؟ حسناً...إننا غير متضايقين فلا داعي للاعتذار. إنك لست مضطرة أن تبقي معنا. أما هال فهو لا يقارن بذلك اليوناني. كان يجب أن تري نظرات الحسد وهي تلاحقك بالأمس! إنه ذلك النوع الذي لا يستطيع الأنسان أن يرفع عينيه عنه. إن كل الفتيات على الباخرة تغرن منك».

احمر وجه آلين ولكنها تمالكت نفسها وقالت:

«إن سيمون يريد أن أشاركه مائدته يا دونا ولذلك فلن أكون معكم على العشاء هذه الليلة».

«أوه...حسناً...كما تشائين ولكننا سنفتقدك. قلت العشاء ماذا عن الغداء؟»

«أظن أننا سنتناول الغداء في ميكونوس. لسنا مطلوبين على الباخرة قبل الواحدة والنصف».

«نعم هذا صحيح. حسناً... نتمنى لك وقتاً طيباً».

وكانت الجزيرة مجموعة من المكعبات والقباب البيضاء التي تلمع تحت ضوء الشمس. لقد أخبرها سيمون عندما كانا ينظران إلى الجزيرة من فوق سطح الباخرة أن المباني ذات طابع معماري دائري. بينما كانا يركبان مركباً صغيراً في مياه بحر إيجه الجميلة الأشد زرقة من كل مياه العالم. كان الميناء الصغير يموج بالحركة وبالمراكب الملونة جنباً إلى جنب مع اليخوت البيضاء المحترمة.

«ميكونوس البيضاء».

قالها سيمون باليونانية بصوته العميق الخفيض.

«إن السكان يطلون منازلهم باللون الأبيض مرتين في العام. إن كل سكان الجزيرة يفخرون بشكل خاص بمنازلهم وخاصة بمنظرها الخارجي».

«هل يأتي سياح كثيرون إلى هنا؟»

«أكثر من أية جزيرة أخرى في المنطقة. ولكنها لن تكون مزدحمة في هذا الوقت من العام».

«إن الجو ساكن هنا بينما كان الهواء قوياً هناك في عرض البحر».

«إنه الملثيمي هواء الجزر».

ابتسم سيمون لها فشعرت للحظة بقلبها يتوقف وحذرت نفسها من الانزلاق.

«ميكونوس محمية من الرياح الشمالية بهذا الجبل الذي ترينه هناك لذلك فإن الأمواج هادئة».

وكان صوته القوي العميق يضيف إلى سحره وهو يشرح لها معالم الجزيرة في الأساطير اليونانية. كانت جزيرة ساحرة وجميلة لدرجة لا يصدق المرء معها أنها جزيرة قاحلة. الأساطير تحكي أنها كانت حجراً ضخماً التقطه رمز البحر الثائر بوسايدون وألقاه على العمالقة. واستدارت ألين لتقول شيئاً لسيمون

والمركب يقترب بهم من الشاطىء رأته في منظر جانبي كأنما تمثال قدّ من صخر فمات الكلام على شفتيها. فيم كان يفكر هذا الرجل؟ شعرت بشيء من القلق وعدم الراحة. كان بلا شك ساحراً وجذاباً وواثقاً من نفسه ولكن ماذا وراء هذه القشرة الخارجية؟ إنه يستطيع أن يكون رقيقاً ومطمئناً ولكن آلين بدأت تشك أن وراء هذا المظهر الجذاب رجلاً بارداً قاسياً.

«ماذا بك؟»

قطب جبينه وهو يرى وجهها:

«لقد شحب وجهك تماماً. يا إلهي...هل تشعرين بالرغبة في القيء؟»

«بالطبع لا إن البحر كالزيت».

واستطاعت أن تضحك فلمعت عينا سيمون.

وسألت نفسها لماذا شعرت بهذا الخوف المفاجىء؟ قام سيمون عندما سحب الرجال الواقفون المركب للشاطىء ووضع ذراعه حول خصرها وساعدها على النزول إلى الشاطىء فاختفت مخاوفها تماماً كما لو كان بفعل السحر.

«هل أنت متأكدة أنك بخير؟»

وقف سيمون ونظر إليها ببعض القلق، كما ظنت.

«لقد عاد لونك ولكن، إذا شئت نستطيع أن نأخذ مشروباً قبل أن نبدأ التجوال حول الجزيرة».

فهزت رأسها بالنفي وقد سعدت بقلقه عليها إذ لم تكن معتادة على هذا الاهتمام ولو كانت استيل في مكانها لاعتبرته شيئاً طبيعياً بل ومن حقها.

«إني بخير».

ابتسمت له وقد انعكست السعادة في عينيها الواسعتين الصافيتين. كم هي سعيدة الحظ أن تجد شخصاً مثل سيمون وأن يختارها من بين كل الفتيات على ظهر الباخرة!

«إذن سنبدأ تجوالنا».

ومرة أخرى لف ذراعه حولها وأخذا يسيران على الشاطىء.

كان هناك رجال سمر كثيرون يعرضون بضائع من جميع الأصناف، وكانت السيدات يرتدين ملابس سوداء أو بيضاء من الغزل المحلي. ويبتسمن لها ويعرضن عليها منتجات رخيصة وجميلة من صنع أيديهن. وكانت الأشغال الجلدية أيضاً جميلة ورخيصة.

ثم توقف سيمون وسألها:

«ماذا تريدين ياعزيزتي».

«لا شيء، أشكرك».

«اختاري!».

قالها بحدة وبطريقة آمرة لدرجة جعلتها تقفز.

«لا بد أنك تريدين شيئاً».

كان صوته يحمل شيئاً من السخرية فتأكدت أنه رجل متغير المزاج وخاصة إنها لم تكن تلك المرة الأولى التي يحدث فيها هذا التغير.

«إن التطريز جميل».

قالت ذلك وهي تتمنى لو أنها لم ترفض في البداية مما جعله يظن أنها تمثل دور من لا تريد.

من الواضح أن النساء اللواتي كان يتعرف عليهن كان يهمهن أن يحصلن على أي شيء ممكن من رجال مثل سيمون ديوريس.

«هذا المفرش».

وردت السيدة الشابة التي أحضرت على الفور عدداً منه:

«إنه يستعمل أيضاً كمفرش للمائدة».

«إذن سنأخذ نصف دستة».

«أوه...ولكن...»

«وهذا البول أوفر».

أشار سيمون إلى بول أوفر أخضر فاتح مشغول بغرزة الضفيرة.

«إنه جميل».

لم تستطع آلين برغم خجلها وترددها في قبول هذه الهدايا إلاّ أن تسأل السيدة:
«هل قمت أنت بصنعه؟»
«نعم يا سيدتي في ثلاثة أيام فقط».
«ثلاثة أيام؟ ولكن كم من الوقت تعملين في اليوم؟»
«ساعات طويلة وأسهر في الليل وأتعب وتضعف عيناي».
ظهر على آلين الشعور بالحزن وبدا على سيمون تعبير غريب كما لو كان أدهشه اهتمامها وحزنها على الفتاة.
ثم سألت الفتاة:
«لماذا لا تطلبين ثمناً أعلى وتعملين ببطء؛ إن نظرك أثمن من أي شيء».
«إن كثيراً من الناس لن يشتروه بثمن أعلى».
«ولكن ثمنه في بريطانيا أربعة أضعاف ذلك. من الممكن أن تزيدي ثمنه قليلاً».
«هذا هو الثمن الذي حددناه».
وضعت الفتاة البول أوفر على آلين فهز سيمون رأسه بالموافقة.
«نعم سنأخذه».
ثم خاطب الفتاة باليونانية فأحضرت حقيبة للمساء. لم يكن لدى آلين حقيبة. ولكن أن يكون سيمون قد لاحظ ذلك أثار دهشتها.
كانت حقيبة جميلة من القماش الأبيض المشغول بخيوط ذهبية وفضية. قال لها:
«إن هذا القماش نسيج يدوي. إن السيدات في هذه الجزر ينسجن أقمشتهن بأنفسهن».
«أشكرك يا سيمون إنك طيب جداً معي».
لم تستطع آلين أن تقول شيئاً آخر.
«أرجو أن يكون هذا تفكيرك دائماً».
كانت كلماته ناعمة مازحة ومع ذلك شعرت بالخوف يسري فيها مرة أخرى. ما السبب؟
«والآن لنذهب لتناول ذلك المشروب».

حمل سيمون السيكارة وهو أمر غير معتاد بالنسبة ليوناني.

«هناك حانة صغيرة أعرفها. والآن. من أي طريق كانت؟ آه نعم!»

«هل تعرف هذه الجزيرة جيداً؟»

سألته آلين وهي تسرع لتلحق به!

«ليس جيداً. لقد حضرت عدة مرات كانت والدتي تحب أن تأتي إلى هنا ولكن هذا كان من عدة سنوات قبل أن تصبح الجزيرة مشهورة كما هي الآن».

«والدتك؟ هل ما تزال حية؟»

«لا، بالطبع لا».

«من المؤسف أنها ماتت».

تلا ذلك سكوت. كم هو رجل غريب. لا يمكن التنبؤ بما بداخله. رجل متغير المزاج ينحدر من أسلاف وثنيين.

ذهبت أفكار آلين إلى لحظة الوداع بينهما عندما تصل الباخرة إلى رودس. سيذهب في طريقه وتذهب هي للتجول بمفردها، ماذا سيكون شعور كل منهما عندما تأتي تلك اللحظة؟ الوداع...قبلة، نعم قبلة أخيرة على رصيف الميناء ثم يذهب سيمون بخطواته الواسعة والسريعة التي تزيد المسافة بينهما. هل سيلتفت للوراء؟ نعم إنها متأكدة أنه سيفعل وسيلوح كل منهما للآخر حتى يختفي. هذا هو مصير قصص الحب على سفينة. يبدو ذلك مستحيلاً ولكن هذا ما سوف يحدث. وأفلتت منها تنهيدة جعلته ينظر إليها بتساؤل:

«ما الذي يضايق صديقتي الجميلة؟»

ضحكت وقالت:

«هل تريد الحقيقة؟»

«بكل تأكيد يا عزيزتي».

«كنت أفكر في الوداع...بعد خمسة أيام من اليوم».

تلا ذلك سكوت عميق طغى على كل ضوضاء الميناء.

«الوداع...»

قالها سيمون أخيراً بصوت هادىء ومع ذلك كان به مزيج غريب من التسلية والارتياح مما جعل آلين تحملق فيه محاولة فهمه... لقد غرق في تفكير عميق لا يمكن لأحد اختراقه وجعله بعيداً عنها.

«ها هي حانتنا».

توقف عن السير فجأة فحطم سحر اللحظة الذي كان يغلفها.

«يجب أن تجربي الـ أميجدالوتو إنه اختصاص هذه الجزيرة. ماذا تريدين أن تشربي؟»

جلسا تحت كرمة وكانت موسيقى البزق تنساب إليهما من الخلف وسمعت صوت أطفال يضحكون ففكرت في جنكس. كم كانت الطفلة ستستمتع بهذه الرحلة. قررت بينها وبين نفسها أن تحضرها إذا ما سنحت الفرصة. يجب أن أبحث عن عمل أحسن وتذكرت أنها قد قضت وقتاً أطول من اللازم في ذلك المتجر الذي تعمل به في بلدها.

وتناولت آلين عصير الليمون والـ أميجدالوتو الذي اتضح أنه نوع من الحلوى اللذيذة المصنوعة من اللوز بينما شرب سيمون أوزو وأكل معه الزيتون وقطعاً من الأخطبوط المشوي. وكان الخادم الشاب يتنقل بين الموائد وابتسامته لا تفارقه. ثم تحدث باليونانية مع سيمون وضحك الاثنان بشدة. نظرت آلين إلى حيث ينظران فوجدت رجلاً سميناً في منتصف العمر يداعب فتاة ذات شعر أشقر لا يمكن معرفة سنها برغم أن ملابسها تناسب فتاة لا تتعدى السابعة عشر. فاحمر وجه آلين ونظر إليها سيمون بشيء من الدهشة.

«هل انتهيت أم تريدين بعض الفطائر التي تزيد الوزن».

«لا أشكرك، أين سنذهب الآن؟»

قامت وقام سيمون أيضاً من كرسيه.

«سنتجول في هذه الممرات الضيقة حتى تكوني فكرة ثم نذهب إلى ديلوس».

كانت الطرقات الضيقة خلف الميناء كبيت جحا. إذ كان بعضها ضيقاً مما جعل سيمون و آلين يلتصقان بالحائط عندما يمر حمار وراكبه. والبعض الآخر

كان أوسع من ذلك. وكان لجميع المنازل سلالم خارجية تؤدي إلى شرفة تمتلىء بأصص الزهور والورود التي تنشر ألوانها الزاهية كما تعطر الجو للمارة.

«هذه الممرات أغلبها مسدودة».

نظرت آلين بدهشة وقالت:

«ليس أغلبها بل كلها».

فصحح معلوماتها شارحاً أن هذا كان يقصد به تضليل القرصان.

«هل كان هناك قرصان؟»

«إن اليونانيين يحبون القرصنة منذ القدم».

ثم توقف فجأة وشعرت آلين أنه كان سيزيد من الشرح ولكنه غيّر رأيه. ومرا بمقهى فيها رجال يرقصون فتوقفا لمشاهدة الحركات الرشيقة وقال سيمون:

«إن كل هذه الحركات ترجع إلى عصور الظلام والوثنية، كان المقصود بها تكريم الرموز. ولكن من الجائز أنك تعرفين هذه الأشياء».

«لا، كان يجب أن أقرأ أكثر عن الأساطير اليونانية».

لم يقل شيئاً بل سارا في سكون تشغله أفكاره. واتجهت خطواتهما إلى الميناء. فأخذت آلين تفكر في سيمون وفي بيته وفي عمله وشعرت أنه غني برغم أنه لم يكن لديها دليل على ذلك. كما أنه مثقف ولغته الانكليزية ممتازة. من الجائز أنه يملك سفناً أو يزرع دخاناً أو يملك مزارع زيتون. وخطر لها أن تفتح هذا الموضوع ولكن تعبير وجهه منعها من ذلك.

واستقلا مركباً صغيراً من ميكونوس إلى ديلوس فبعد أن تركا ميكونوس بأقل من ساعة كانا يتجولان بين أطلال ديلوس التي اعتبرها القدماء جزيرة النور لأن أبولو رمز الشمس ولد فيها وكانت هياكل هذا الرمز وعددها ثلاثة مهدمة وتنمو بين أركانها وشقوقها الأزهار وقد تفتحت في الربيع. ولم يبق من هذه الهياكل إلا أعمدة مهشمة وقواعد رخامية وأجزاء من تماثيل تشهد على مجد ديلوس في قديم الزمان. أما أشهر وأجمل الآثار فهي تماثيل الأسود التي كانت في يوم ما تحرس بجانب البحيرة والتي لم يبق منها إلاّ خمسة.

وكانت آلين تنظر حولها بدهشة ثم قالت:

«إنه مثير جداً أن يكون المرء على جزيرة غير مأهولة».

كانا قد صعدا إلى جبل لينتاس وشاهدا المدينة التي بها بيت الدولفين الشهير، و بيت الثلاثي و بيت الأقنعة وكان هناك موائد وكراسي من الرخام ورسومات موزايكو وعلى الأخص المسرح الذي يسع خمسة آلاف شخص.

وكان الهواء يطير شعر آلين وكانت تبدو مناسبة لهذه الخلفية كما قال سيمون وهو يزيح شعرها عن وجهها ثم يعانقها برقة فحملقت فيه وعيناها تبرقان وقد سحرها جو الجزيرة والوضع الذي وجدت نفسها فيه. أخذ قلبها يحذرها ولكنها كانت منفعلة بطريقة لم تعرفها من قبل.

همس بصوت رقيق:

«كم أنت جميلة، أنا سعيد لأني قابلتك يا استيل».

وأحاط خصرها بيده...

«هل أنت سعيدة بمقابلتي يا حبيبتي».

حبيبتي... هل تعني هذه الكلمة شيئاً؟ ذكرت آلين نفسها بحزم أنها لم تعرف سيمون إلاَ منذ يوم واحد. لا بد أنه يلعب بعواطفها وهو خبير في هذه اللعبة من كثرة تكرارها. ولا بد أن شريكاته كن على نفس الدرجة من الخبرة.

. أجابت أخيراً:

«نعم إني سعيدة جداً أن قابلتك».

فعانقها مرة أخرى مما جعلها ترتعش خوفاً من أن يطلب منها هو أكثر فإن ذلك سيكون نهاية حلمها الجميل. وهي تشعر أنه سيفعل قبل أن ينتهي اليوم.

٥ ـ قرصنة في بحر الحب!

ظهرت سلسلة جبال بنفسجية اللون من خلال الضباب الذي يغطي البحر.

«رودوس».

جاء صوت سيمون خلفها، فابتسمت له مرحبة.

«استيقظت قبلي اليوم».

«أريد أن أشاهد الشروق».

«حالاً... انظري هذا هو طرف الكرة القرمزية. إن الدنيا تتحوّل إلى اللون القرمزي».

كان وراءها. فلف ذراعه حولها ووضع يده فوق يدها على السياج. استندت آلين عليه بحركة رقيقة وأسعدها أن تشعر بذقنه مستندة على رأسها.

«أنظري في هذا الاتجاه يا حبيبتي إنها رودوس جزيرة الورود».

هزت رأسها ولم تستطع أن تتكلم لأنها كانت منفعلة وحزينة لفكرة اقتراب الوداع بينها وبين سيمون. كانا وحدهما على سطح المركب وكل شيء كان هادئاً فيما عدا صوت البحر، كان كل شيء ينام فيما عدا الشمس التي ترتفع في الشرق لتوقظ العالم.

ونظرت آلين بتأمل إلى جزيرة رودوس البعيدة موطن سيمون. المكان الذي سيودعان بعضهما فيه. ولم تكن قد نامت جيداً تلك الليلة. وتساءلت إذا كان هو أيضاً مثلها لم ينم. كانت هذه هي الساعات الأخيرة التي سيقضيانها معاً.

عادت بذاكرتها إلى تلك الليلة عندما طلب منها سيمون ما كانت تتوقعه، بكلمات رقيقة جذابة بينما كانا يقفان في ضوء القمر على سطح السفينة والموسيقى الرقيقة تترامى إليهما من فرقة النادي الليلي. كان رفضها متردداً لأنها توقعت أنه سيكون نهاية علاقتهما وأن سيمون سيبحث لنفسه عن رفيقة أكثر تجاوباً. ولكن لشدّة دهشتها فقد تقبل رفضها بدهشة شديدة ولكن بلا غضب. لقد كانت دهشته بالغة ومن الواضح أنه كان يتوقع استسلاماً سريعا متلهفاً. أما هي فإن رفضها تسبّب في أرقها طوال الليل، إذ كانت تلوم نفسها على غبائها وعلى مثلها التي أصبحت من مخلفات الماضي تماماً لماذا وضعت حداً لسعادتها التي وجدتها للتو؟ لماذا لم تكن مثل استيل؟ ربما جعل ذلك الحياة أسهل.

كانت تقول لنفسها وهي متيقظة أنه لن ينتظرها في الصباح عند حمام السباحة، ولن يتناولا إفطارهما معاً، ولن يرقصا معاً ولن يعانقها في ضوء القمر. كانت فترة جميلة ولكن قصيرة وهي لن تنساها أبداً. ولكن كل شيء قد انتهى الآن. سيبحث سيمون لنفسه عن رفيقة أخرى.

ولكنها كانت مخطئة! فقد كان ينتظرها بجانب حمام السباحة. وتناولا إفطارهما معاً وبقيا معاً منذ تلك اللحظة. وزارا جزيرتي باتموس و كوس في طريقهما إلى رودوس وفي كل جزيرة كانا يتجولان معاً للمشاهدة وقد اشترى لها سيمون أشياء ما كان يمكن أن تشتريها لنفسها أبداً برغم أن أغلب النقود التي أعطتها إياها خالتها كانت ما زالت معها. وبمرور الأيام كان سيمون يزداد رقة ويزداد حبه لها عمقاً. وكان يبدو أنهما لا يمكن أن يفترقا قبل أن يتفقا على لقاء جديد.

ولكن شيئاً واحداً جعل آلين تقلق وتشك. إن سيمون لم يحاول أن يسأل مرة أخرى عن عملها أو بيتها أو حياتها في انكلترا. لم يكن يعرف شيئاً عنها ولم يبد مهتماً لأن يعرف. لقد فكرت عدّة مرات أن تخبره بالحقيقة عن نفسها وعن عملها وأن تحدثه عن جنكس والخالة سو ولكن الكلمات توقفت على

لسانها لمجرد عدم اهتمامه. ولوكان يريد أن يعرف أية تفاصيل عنها لسأل وكانت ستجاوبه بلا تردد وبسبب عدم اهتمامه فقد امتنعت عن السؤال عن حياته. وهكذا بعد ستة أيام شاعرية لم يكن كل منهما يعرف شيئاً عن الآخر.

وسألت بتردد وصوت مرتعش:

«متى سنصل؟»

«بعد ساعتين».

كانت مازالت تستند إليه وتشعر بذقنه على رأسها.

«لماذا هذا الحزن يا عزيزتي؟»

ضغط على يديها ثم أدارها لتواجهه وقد أمسك بيديها في يديه وأخذ ينظر إليها طويلاً وهو لا يتوقع إجابة على سؤاله.

«ليس لديك خواتم يا استيل؟ ليس لديك خاتم من الماس لأصبعك؟»

دقّ قلبها بعنف. ولم تسمع نفسها وهي تقول:

«لا يا سيمون. ليس لدي أية خواتم».

تلا ذلك صمت غريب قبل أن يرد سيمون بنبرة أكثر غرابة في صوته:

«هاتان اليدان الجميلتان بلا خاتم من الماس؟ يجب أن يكون لديك خاتم من الماس».

هل يقصد خاتم خطوبة؟ لا بد أنه يعني ذلك. وإلاّ فلماذا يذكر الخاتم الماسي؟

نظرت إليه بسعادة وبدون تفكير تمتمت بخجل:

«هل تقصد أنك ستعطيني خاتماً؟»

توقفت بارتباك وقد تنبهت لخطئها. ماذا سيظن عنها؟ في هذا الموقف، وهو على وشك أن يطلب منها الزواج، المفروض أن يتكلم هو. لا بد أنه سيظن أنها جريئة. عضت على شفتيها مغتاظة من نفسها. ولكن لحسن حظها بدا أن سيمون لم يلحظ لهفتها أو على الأقل لقد نجح في إخفاء ملاحظته وهو يبتسم لها ابتسامته

الجذابة ويلفت نظرها إلى منظر الشمس مغيراً الحديث بطريقة مفاجئة أدهشتها.

«انظري يا استيل. إنها تتحول إلى شكل الكمثرى».

فاستدارت في ذراعيه وهي لا تشعر بالسعادة لأنه كان أمراً غريباً أن يتكلم عن الخاتم برغم أنه لم يطلب منها الزواج بعد. فكرت آلين في كذبها عليه وفي جنكس والخالة سو وبدا لها الموقف معقداً إلى درجة لا يمكن حلها.

«نعم إنها كالكمثرى».

وحملقت آلين في الشمس ثم استطردت:

«إنها تبدو وكما لو كان البحر يجذبها ولا يريد أن يتركها».

«خداع بصري بالطبع...ها هي...لقد ظهرت!»

كان شروق الشمس جميلاً لدرجة بهرت آلين برغم أنها لم تكن أول مرة ترى فيها الشروق. كانت في الأيام الثلاثة الأولى تستيقظ مبكرة وتصعد إلى السطح. ولكن منذ قابلت سيمون كانا يسهران كثيراً وكانت تستيقظ متأخرة. أما هذه الليلة فقد جفاها النوم وهي تفكر في الوداع المنتظر بينهما. لم يكن هناك شك أنها وقعت في حب سيمون برغم أنها حاولت بشدة مقاومة هذا الجنون. وقد أعطاها تصرف سيمون معها ورقته وإعزازه لها وإغراقها بالهدايا في كل جزيرة زاراها، الأمل في أن يكون هو أيضاً يحبها. ولكن عدم اهتمامه بمعرفة تفاصيل حياتها لفت نظرها بشدة. لو كان جاداً في علاقته بها لاهتم بمعرفة كل شيء عنها ولكلمها هو أيضاً عن نفسه.

وقطع سيمون الصمت قائلاً:

«هل سنستحم اليوم؟»

كان ينظر إليها بتلك الطريقة الساحرة التي كانت تجعل قلبها يدق بعنف. هل كان يعلم بتأثيره عليها؟

«نعم، سأذهب لأغير ملابسي».

فسارا حتى قمرتها ولما لم يكن هناك أحد أخذها بين ذراعيه وعانقها قائلاً:

«سأراك حالاً».

ثم انصرف.

وحدقت وراءه وهي في حيرة شديدة. ما هي نواياه؟ بالتأكيد لا يمكن أن ينظر إليها بكل هذا الحنان لو كان سيودعها بعد ساعات قليلة. فكرت فيما قاله عن الخاتم الماسي وشعرت أن هناك معنى خفياً احتفظ به لنفسه. دخلت قمرتها وهي تشعر بالاضطراب وبأن شيئاً بداخلها يحذّرها بشدة. ولكن حبها لسيمون جعلها لا تمعن التفكير وتتغاضى عن أي عيوب في شخصيته قد تتراءى لها. كان تأثيره عليها منذ النظرة الأولى لا يسهل محوه حتى لو لم يصبحا أصدقاء إلى هذه الدرجة. دفعت كل هذه الأفكار عنها وأخذت ترتدي لباس البحر وهي لا تفكر إلاّ في الساعتين الباقيتين لها معه.

كانا آلين و سيمون من أول الذين غادروا الباخرة عند وصولها إلى ميناء ماندراكي. كان رفيقها يحمل حقيبته وهي تفكر في عودتها إلى الباخرة بمفردها بدون ذراعه حولها. لن ترقص الليلة بعد العشاء في الأضواء الخافتة، ولن تسير على سطح الباخرة في ضوء القمر، ولن يكون هناك كلمات أو همسات رقيقة أمام قمرتها قبل النوم. وشعرت بالألم يعتصر قلبها. كانت في البداية تقول لنفسها إنها في نهاية الستة أيام ستكون سعيدة بما استمتعت به في صحبته. ولكنها الآن، عندما جاء الوقت للفراق، لا تشعر بذلك.

«هل...هل ستعود لمنزلك الآن على الفور؟»

سألته متمتمة وهما يقفان على شاطىء جزيرة رودوس الساحرة وقد أصبحت غير قادرة على تحمّل الصمت أكثر من ذلك. وكانت الورود والأزهار الجميلة تملأ الجو الدافىء عطراً ساحراً. والمراكب المزركشة تنتشر على سطح الماء وبينها بعض اليخوت الفخمة التي ترفع بعض الأعلام.

نظر إليها سيمون وتردد قليلاً ثم قال:

«لدي يختاً هنا يا استيل. سأضع حقيبتي فيه ثم نتريض قليلاً في المدينة».

صاحت وقد نست حزنها للحظة:

«يخت! واحد من هذه؟»

إذن فلن يفترقا على الفور. على الأقل لساعة...أو ساعتين؟ إنه وقت ثمين.

نظرت إلى اليخت الأبيض اللامع الذي أشار إليه سيمون.

«إنه جميل. إنك محظوظ يا سيمون».

فكرت في رحلة اليخت التي ستذهب إليها أختها. بالتأكيد لن يكون بهذه الفخامة. لا بد أن سيمون رجل غني جداً.

وقال ببعض الفخر:

«نعم إنه جميل. تعالي يا عزيزتي لأريك إياه».

لمعت عيناها، فأخذ سيمون ذراعها وسارا معاً إلى اليخت. كان على ظهر اليخت رجلان ينزلان الأعلام البيضاء، حيياه ثم نظرا بفضول إلى رفيقة مخدومهما وهما يتكلمان اليونانية. داخل اليخت كالأحلام وكان مؤثثاً بأفخر الأثاث. والسجاجيد السميكة تغطي الصالون وغرفة استقبال أخرى أصغر. وهناك غرفة طعام وكبائن مجهزة تجهيزاً فاخراً بحمام خاص لكل منها. وأخذت آلين تنظر حولها بانبهار وهي تحسد استيل لأنها ستقضي إجازة ممتعة على يخت شبيه بهذا.

«هل تريدين مشروباً يا عزيزتي؟»

ترك سيمون حقيبته ليحملها أحد الرجلين وجلس هو و آلين في الصالون. بدا مشدود الأعصاب، وتساءلت ترى هل هو أيضاً غير سعيد بسبب فراقهما. ولكن لو كان هذا صحيحاً فهو يستطيع أن يتصرف. إن رجلاً يملك مثل هذا اليخت لن يفكر في فتاة مثلها. جلسا يتحدثان لحظة بينما تناولت مشروبها ثم استأذن سيمون قائلاً إنه سيعود بعد لحظة وأضاف:

«توجد هنا بعض المجلات الانكليزية».

ثم انصرف.

فكرت استيل أنه بدا مختلفاً. أم أن هذه تخيلاتها؟ إنها لم تره مشدود الأعصاب على هذا النحو وغارقاً في التفكير كما هو الآن. هزت كتفيها واسترخت في جلستها وهي تفكر في الوداع الذي يقترب كل لحظة. ونظرت إلى ساعتها. كان عليها أن تعود إلى الباخرة كاسيليا في الثالثة فإذا بقي معها سيمون حتى تبحر فيكون لديهما خمس ساعات معاً. مرت خمس دقائق ثم عشر...إن الوقت الثمين يضيع. قامت ناحية الباب ثم عادت وجلست مرة أخرى. ستبدو مضحكة لو ذهبت لتبحث عنه. إلى جانب أنه ذكر المجلات مما يدل على أنه كان يعلم أنه سيتأخر. ونظرت مرة أخرى إلى الساعة. لقد مرت اثنتا عشرة دقيقة بدت طويلة جداً. نظرت من النافذة إلى السفن في الميناء والمياه الزرقاء الهادئة. وقطبت جبينها فقد كان يبدو غريباً جداً أن يتركها سيمون هكذا. فجأة سقط قلبها، حين سمعت صوت محرك اليخت! أخذ نبضها يدق مع صوت المحرك. وقامت بسرعة وذهبت إلى الباب وهي لا تعلم سبب هذا الخوف لأنها كانت تثق ثقة مطلقة في سيمون. أدارت مقبض الباب. لم تصدق نفسها. لا يمكن أن يكون مغلقاً. جذبته مرة أخرى بكلتا يديها في محاولة يائسة لفتحه. صاحت محاولة التحكم في صوتها:

«سيمون!سيمون...إن الباب مغلق...ما الذي حدث؟»

لا بد أنه سيأخذها في نزهة في البحر، نعم هذه هي الحقيقة. وهو لم يخبرها لتكون مفاجأة لها.

«سيمون...أين أنت؟ يا إلهي...ما الذي يجري؟»

نظرت من النافذة فرأت الشاطىء يبتعد. رفعت يدها المرتعشة إلى حلقها. ما الذي يحدث؟

كان شاطىء ماندراكي يبدو أصغر وأصغر. والدموع تسيل على خديها وهي تقف أمام الباب بعد أن استمرت تدق عليه أكثر من ربع ساعة بلا مجيب. سيطر عليها خوف شديد وهي تشعر أنها قد تكون بمفردها على ظهر هذا اليخت.

ماذا فعلت؟ تأكدت الآن أنها كانت ضحية عملية خداع رهيبة وأنها وحدها الملومة. لم تكن سوى معرفة عابرة وقد وضعت كل ثقتها فيه. يا لها من غبية ساذجة! إن استيل ما كان يمكن أن تقع في هذه الورطة...ومن الجائز أنها ما كانت ستتضايق. كانت ستفهم ما يريده بمجرد أن يطلب منها أن تأتي إلى اليخت. هزت آلين رأسها بذهول وهي مازالت لا تستطيع أن تصدق أن سيمون كان يخدعها. لا فائدة من أن تغالط نفسها. لقد أحضرها هنا لغرض واحد...ومع ذلك لماذا لم يعد؟ وإلى أي مدى سيذهب باليخت قبل أن يعود للشاطىء. افترضت أنه ينوي العودة لأنه يعرف أنها يجب أن تعود إلى الباخرة كاسيليا بعد ساعات قليلة.

عادت مرة أخرى تدق الباب ثم لجأت للصياح في محاولة لأن يرد عليها أحد. هل مازال هذان الرجلان على ظهر اليخت؟ لا بدّ أن لديهما تعليمات ويجب ألاّ تتوقع مساعدتهما. أخذت تبكي وهي تتساءل ما الذي سيحدث لها. كان قلبها يدق بعنف في حالة سيئة لا تسمح لها بالتفكير السليم. ماذا سيحدث لو أني لم ألتحق بالباخرة، كم كنت غبية. ولكني لم أتوقع أبداً أن يفعل هذا بي. كانت تكلم نفسها وتنعي حالها وتتوسل إليه كما كان أمامها.

«دعني أذهب يا سيمون، أرجوك، أعدني إلى رودس».

أخيراً سكتت في يأس والدموع تنهمر من عينيها. جلست طويلاً على حافة المقعد بعد أن توقف ذهنها عن التفكير. وشعرت بالبرودة تسري في جسدها. والافكار المضطربة تختلط في ذهنها...احتمال ألاّ تلحق بالباخرة والخالة سو و جنكس و استيل التي تنتظر إعادة جواز السفر إليها. ولكن أهم من كل هذه الأفكار كانت فكرة ما سيحدث لها بعد قليل. عادت الذكريات إلى ذهنها المضطرب...قبول سيمون ببرود لرفضها طلبه البقاء في كبينتها تلك الليلة ومزاجه المتغير ومحاولته عدم معاداتها وهو أمر ما زال يحيرها. وتذكرت كرمه واهتمامه بها مما أسعدها ببساطة لأنها لم تجرب ذلك من قبل. لقد خطط كل

ذلك ليعطيها الثقة فيه حتى يستطيع أن يغريها لتأتي معه إلى يخته. هزت رأسها فجأة. لا...إن هذه الاستنتاجات ليست صحيحة لسبب ما. لماذا يتعب نفسه إلى هذه الدرجة ليكسب ثقتها إذا كان كل ما يريده هو أن يغرر بها؟ كما قالت لنفسها عندما رفضت اقتراحه...فهو يستطيع أن يحظى بأية فتاة يركز اهتمامه عليها وهو لا يحتاج إلى أن يتعب نفسه إلى هذه الدرجة فقط ليرضي رغباته. إنه ليس مضطراً للمجازفة التي يفعلها الآن لأنه بلا شك يعلم أنه سيضع نفسه تحت طائلة القانون بخطفها بهذه الطريقة.

وشعرت آلين بالتوتر لدى سماعها وقع أقدام ثقيلة خارج الباب. قفزت واقفة وأخذت تصيح بصوت عال وتدق على الباب. دار مفتاح في الباب فخطت للوراء بينما انفتح الباب للداخل. كان يقف هناك يوناني نحيف وأسمر، أحد الاثنين اللذين رأتهما عندما صعدت إلى اليخت. ونظر إليها نظرة فاحصة جريئة. كانت شفتاه غليظتين خشنتين تحت شاربه الأسود الملتوي وهو يمسك سيكارة في يده ومسبحة في اليد الأخرى.

«دعني أخرج من هنا».

قالت آلين هذا وهي تندفع للأمام وبعيداً عنه، ولكنه أمسك بها فأفلتت منه ودخلت الصالون مرة أخرى، سألته بعنف:

«أين سيدك؟ أذهب وأخبره أني أريد أن أراه. لا تحملق فيَ هكذا. ألا تفهم الانكليزية؟»

استمر يحدق فيها وعيناه مثبتتان على وجهها الباكي، بتعبير من الحيرة قبل أن ينتقل نظره إلى صدرها. شعرت بالحرج وفي هذه اللحظة ولد فيها شعور بالكره لسيمون. قال بانكليزية ركيكة:

«أتكلم قليلاً من الانكليزية. إنك فتاة جميلة جداً كرفيقة فراش لسيدي».

ونظر إليها بإعجاب تشوبه السخرية.

«إن سيدي لديه سيدات جميلات كثيرات ولكنك أجملهن!»

وشعرت بالتقزز وبرقت عيناها بالغضب وقالت غير مقدرة الخطر الذي يحيق بها:

«إني لست رفيقة فراش سيدك كما تسميها. أين السيد ديوريس؟»

كان جسمه يسد الباب لذلك لم تحاول أن تمر بجانبه لأنها كانت تعلم أنه سينتهز الفرصة...

«ما هذا الذي تقولينه؟ ألا تحبين سيدي كصديق؟ إن كل السيدات يعجبن به. إن دماءه حارة ليس كرجالكم الانكليز الباردين».

فاحمر لون آلين وزاد غضبها.

«اذهب وأحضر سيدك علىٰ الفور».

هز كتفه ثم سكت قليلاً وقال:

«سيدي ليس على ظهر اليخت ليتو؟»

«ليس على ظهر اليخت؟ لا بد أنه هناك. اذهب وأحضره».

«لديه عملاً في رودوس وقد أخبرني أنا و مافريس أن نأخذك في اليخت إلى منزله. وسيأتي هو بالطائرة في آخر اليوم».

«بالطائرة؟ إنه يعيش في رودوس...»

«إن سيدي يعيش في كريت...»

«كريت؟ هل هو كريتي؟»

اختنق حلقها. وبسرعة البرق أدركت الموقف الشاذ بأكمله. لقد كانت المقصودة بكل ذلك أختها استيل!

«نعم إنه كريتي. إن الكريتيين ليسوا كباقي اليونانيين. إنهم رجال متوحشون. لا تخبري سيدي أني كلمتك عن الحب».

قالت بانتقام:

«قد أخبره».

إلاّ أن ذهنها كان مشغولاً بأمور أخرى وهي تراجع ما حدث في الأيام الستة

الماضية وقد أدركت كم كان سيمون ماهراً في كسب ثقتها التامة أو استيل...

«لا سيضربني و يطردني من العمل».

«إذن فهو لا يسمح لكَ بإهانة رفيقات... الفراش. كم هو شهم!»

لم يفهم كلمة شهم فتجاهلته محاولة ترتيب أفكارها لتستطيع تقدير الموقف بطريقة أكثر هدوءاً عن ذي قبل.

كان أول خاطر لها الآن أنها في أمان مما كانت تخشاه. ولكنها شعرت بمشاعر متضاربة نحو سيمون. امن سخرية القدر أن تحب بجنون نفس الشخص الذي صمم على القصاص من شقيقتها لما ارتكبته في حق ابن أخيه. لقد وضع خطته بإحكام. ومن الواضح أنه علم مسبقاً بأن استيل ستستقل هذه الباخرة في هذه الرحلة ومن الجائز أنها ذكرت ذلك لسولاس في وقت ما. نعم، لقد وضع سيمون خطته بإحكام ولكن القدر كان كريماً في مساعدته. حتى في الاسم...

تأكدت أن سيمون سيغضب بشدة عندما يعلم بخطته. ولكن ذلك لم يكن ما يشغلها الآن. إن أكثر ما كان يقلقها و يجعل قلبها يدق مرة أخرى هو أنها لن تلحق بأي حال بالباخرة كاسيليا عندما تبحر من رودوس. إنها متأكدة أن هذا الرجل لن يتركها. إنه لن يجرؤ على ذلك بعد أن يعلم بخطته.

«لماذا لم يبحر سيدك إلى كريت على هذا المركب؟»

سألته وقد حيرها هذا الأمر. لو كان فعل لأوضحت له كل شيء ولتركها تذهب. تذهب... تذكرت أنها كانت حتى ساعات قليلة تأمل ألا تودع سيمون أو أن يتفقا على لقاء قريب في مكان ما بشكل ما. ولكنها الآن تدرك أن آمالها هذه ليس لها معنى. إن كل اهتمام سيمون بها منصب على الانتقام منها بسبب ما حدث لأحد أفراد عائلته. إنه لا يهتم على الاطلاق بفتاة تدعى ألين.

«قلت لك أن سيدي لديه عمل هام في رودوس. وقال إنه لا يريد اليخت ليتو أن يبقى في الميناء، وأننا يجب أن نبحر به إلى كريت».

وابتسمت في سخرية. بالطبع إنه لا يريد اليخت أن يبقى في ماندراكي وفيه ضحيته لأنها لو استطاعت أن تلفت النظر إليها لفسدت خطته.

ماذا سيفعل بالنسبة للتحقيق الذي سيحدث عندما لا تعود إلى الباخرة كاسيليا؟ إنها لن تبحر في موعدها إذا تأخر أحد الركاب. وسيعلمون بغيابها لأن مفتاح قمرتها سيكون معلقاً في مكانه لأن المفروض أن أي راكب يعود يأخذ مفتاحه على الفور. وأي راكب لا يأخذ مفتاحه ينادى على اسمه في مكبر الصوت للتأكد من أن المفتاح لم يترك بطريق الخطأ. فإذا لم يرد تنتظر الباخرة لأن الضابط المسؤول يعلم أن هناك راكباً لم يعد.

ولكن إلى متى ستنتظر الباخرة؟ من الواضح أنها لن تلحق بها لأنها الآن في طريقها لكريت وهي تعلم أنه لا فائدة من أن تطلب من هذا الرجل أن يطلقها.

«طلب مني سيدي أن أعطيك طعاماً، وأن أدخلك في كابينه لتستريحي».

«إني لا أريد طعامكم».

وتوقفت لحظة وهي تفكر إن كل اليونانيين يخشون الشرطة. وسترى الآن إذا كان هذا الرجل يخشى الشرطة أكثر من سيده. أخذت تشرح له أنها اختطفت، وأنهم ينتظرونها على الباخرة كاسيليا.

«إذا لم أعد سيخطرون البوليس».

قالت ذلك وهي تؤكد على كلمة البوليس.

«...وسيأخذون المسؤولين عن ذلك إلى السجن. هل تفهم؟»

راقبته بدقة، ولكن لدهشتها رأته يبتسم ابتسامة عريضة.

«إن سيدي لم يأخذ أية امرأة بالقوة من قبل. إني أتعجب بسبب إغلاقه الباب، ولكني أظن أن ذلك كان من قبيل المزاح. انت تقولين إنه أخذك بالقوة. إنها قصة لطيفة سوف أحكيها لأصدقائي. إن السيدات عادة يكن راضيات...»

فقاطعته بغضب:

«البوليس...إنك تعلم معنى هذه الكلمة. وستحاسب لأبقائي على هذا اليخت رغماً عني. أما إذا تركتني فلن أخبر أحداً».

نظر إليها الرجل بخبث واشمئزاز وأخذت هي تصرخ فيه بصوت عال وتشرح له كيف سيبلغون البوليس عندما لا تعود إلى الباخرة كاسيليا ولكنه قاطعها قائلاً:

«ولكن الباخرة كاسيليا ملك سيدي. وسيكون قد أخبر القبطان أنك لن تعودي».

ثم أضاف وهو يضحك:

«...إن القبطان سيفهم. إلى جانب أن حقائبك هنا في الكابينة التي سأريك إياها. وقد طلب مني سيدي أن أخبرك أن جواز سفرك معه وسيعيده إليك فيما بعد».

٦ - تحت أشجار التمرحنة

رسا اليخت في خليج صغير شرق هيراقليون بعيداً عن الميناء الذي يموج بالحركة، وقد فهمت آلين أنه تم اختياره بقصد عدم إعطائها الفرصة للاتصال بأحد. وسلمها كوستوس وهو الرجل الذي تحدث معها على اليخت إلى سائق يرتدي ملابس خاصة كان يبدو عليه الضيق لأنه انتظر مدة طويلة.

نظرت حولها وهي تركب السيارة. لا فائدة من أن تحاول الهرب فالمكان منعزل وهذان الرجلان حولها. إلى جانب أنه تصرف أحمق لأن سيمون معه جواز سفرها. كما أنها لم تكن تريد أن تسبب له مشاكل برغم ما سببه هو لها من مضايقة. راجعت الموقف وهي في رحلتها من رودوس عدة مرات مع نفسها وانتهت إلى أنه من الأفضل أن هذا حدث لها هي بدلاً من استيل لأنه لو كانت استيل هي التي وقعت تحت يده لما كان لها مخرج مما دبره لها من عقاب. أما الآن فإن آلين تعرف اسم سيمون ووصفه ويمكنها أن تحذر شقيقتها منه، وإن كانت تظن أن سيمون سينفذ فكرة الانتقام الآن.

لم يكن هناك داع أن تسأل نفسها عن سبب رغبتها في عدم تعريضه لأية مشكلة. إنها تكرهه الآن قليلاً ولكن حبها له أكبر بكثير. وبرغم أنها مقتنعة أنه لا يستحق حبها، إلاّ أنها لم تستطع أن تقتل هذا الحب. لسوء الحظ لأنها لو كانت خالية البال الآن، كما كانت عندما صعدت إلى ظهر الباخرة كاسيليا وهي تتوقع رحلة ممتعة، لكانت أسعد كثيراً. أي فشل... إنها ستطلب أن تعاد لبلدها بالطائرة لأنها ليست مستعدة للعودة إلى الباخرة بعد ماحدث، وبعد أن

اعتقد كل الطاقم بدءاً من القبطان حتى أقل عامل أنها ذهبت مع صاحب السفينة الغني.

وقالت محادثة السائق:

«توقعت أن يقابلني السيد ديوريس بنفسه».

«إنه لم يعد بعد من رودوس يا سيدتي، لقد اتصل تليفونياً في الصباح وطلب مني أن أنتظر اليخت ليتو وأن آخذك إلى المنزل. سيكون قد عاد عندما نصل إلى هناك».

كانت لغته الانكليزية سليمة وطريقة كلامه مهذبة. فشعرت بالارتياح بعد نظرات وضحكات كوستوس التي لم تعجبها ولغته الركيكة التي ضايقتها لأقصى حد:

«هل المسافة إلى المنزل بعيدة؟»

استغربت لحالة الهدوء التي حلت بها، بعد لحظات الرعب التي عاشتها قبل أن تعرف السبب الحقيقي لاختطافها، أما الآن فهي تعرف أنه لا داعي للخوف. فبمجرد أن يعرف سيمون الحقيقة، سيعتذر بكل الطرق وسيفعل ما في وسعه لأعادتها لمنزلها.

«إنها رحلة طويلة يا سيدتي... إن ليتو عادة ترسو في شاطىء خاص ملك السيد سيمون. ولكن لأن المفروض إجراء بعض الاصلاحات باليخت فقد ذهب إلى هيراقليون ولذلك فالمسافة طويلة. في كل حال المناظر هنا جميلة ولن تجدي الرحلة طويلة إذا متعت نظرك بجمال الطبيعة».

واسترخت في جلستها ونظرت من النافذة. وبعد أن تركت الخليج الصغير سارا في هيراقليون، في شوارع ضيقة متعرجة أشبه بحي وطني شرقي في مدينة من مدن أفريقيا الشمالية. ثم سارا في قرية كان يجري فيها احتفال ما لم تعرف ماهيته، ولكن أدهشها أن ترى رجالاً تبدو عليهم سمات العنف والتوحش. ارتدوا أردية بنفسجية وعلى رؤوسهم أغطية ذات شراريب. وهم يتجمعون في ميدان

القرية حيث توجد الكنيسة الأرثوذكسية. ويضعون في أحزمتهم سيوفاً مخيفة بمقابض محلاة بالأحجار الكريمة. إذن فهؤلاء هم الرجال الكريتيون بعواطفهم السوداء وأحقادهم العنيفة الذين أراقوا دمهم على مدى السنين دفاعاً عن وطنهم، والذين قال عنهم هوميروس: في وسط البحر الغامق بلون النبيذ تقع كريت، الجزيرة الجميلة الغنية!...إن سكان هذه الجزيرة مشبعون بالتقاليد القديمة. وهم قساة بلا رحمة ومستعدون لأن يموتوا في سبيل من يحبون. هذا إلى جانب الضغائن التي بينهم.

سيمون ديوريس كريتي. هل كانت علاقتها به ستكون حميمة إلى هذه الدرجة لو كانت علمت بذلك؟ إنها لا تظن ذلك. ولكن لا فائدة من الأسف الآن. لقد أعطت قلبها بغباء لأحد هؤلاء الذين قيل عنهم أنهم أكثر كبرياء وعنفاً واستقامة من بقية اليونانيين...رجل قادته حساسيته المفرطة غير المتهاونة بكبريائه إلى هذا التصرف غير القانوني بخطفها اعتقاداً منه أنها المرأة التي جلبت العار لعائلته. كانت هذه الأفكار تجول بخاطر آلين والسيارة تقطع الطريق الجبلي حيث تنتشر الأزهار بألوانها الجميلة المختلفة. ثم وصلا إلى قرية أخرى حيث كان الرجال يجلسون في كسل تحت أشجار التوت والتمر حنة يشربون شراب الأوزو ويلعبون النرد.

بعد مغادرة هذه القرية بمسافة كبيرة تغيرّت المناظر مرة أخرى فأصبحت منطقة مراع مرتفعة تكسوها الغابات حيث تنمو أشجار البلوط والصنوبر وأبو فروة وبالطبع الزيتون. وبعد عدة منعطفات واجتياز ممر ضيق مخيف نزلت السيارة مرة أخرى إلى أرض خصبة غنية تكسوها الزنابق الصفراء وشجر اللوز ذو الأزهار الوردية...ثم بدا للعيان الشاطىء والأمواج تتكسر عليه. وأخبر السائق آلين أن رحلتها قاربت على نهايتها.

«هذه المدينة التي ترينها هي سفاكيا. فنحن الآن في جنوب الجزيرة».

وأدار رأسه فنظرت آلين إلى المدينة الصغيرة التي ترقد على شاطىء البحر

إلى المنزل الفخم ذي اللونين الأزرق والأبيض والذي يقع في مكان مرتفع بين الأشجار.

هذا منزل السيد سيمون. يمكنك منه أن ترى منظر القلعة التي بناها الفنيسيون. لدينا الكثير من القلاع في الجزيرة».

ثم وقفت السيارة. وفتح السائق الباب لآلين فخرجت وبينما كانت تقف في الفناء الأمامي للمنزل وتنظر إلى الفخامة التي كان عليها منزل سيمون، عاودها الشعور بالخوف... يا لها من بلهاء... بعد قليل ستوضح موقفها وسينتهي الأمر. وأغمضت عينيها بشدة لأنهما كانتا تؤلمانها لرغبتها في البكاء. فهي لا تعلم الآن أن سيمون لا يحس بأية مشاعر تجاه الفتاة التي تدعى آلين مارسلاند. لمسها السائق ففتحت عينيها وأشار إليها أن تصعد السلالم البيضاء التي تؤدي إلى مدخل تظلله الكروم وقد رصت عليه أصص الأزهار.

فتحت الباب خادمة سمراء ابتسمت لها، وطلبت منها الدخول.

«السيد سيمون ينتظرك يا سيدتي، تفضلي من هنا».

كانت لغتها الانكليزية ممتازة وتعجبت آلين أين تعلمتها.

وقادتها إلى غرفة داخلية حيث وجدت نفسها وجهاً لوجه مع الرجل الذي كان ينتظر لينطق بالحكم على استيل مارسلاند.

قام من على كرسيه ينظر إليها وهي تقف أمامه وراء الباب مباشرة وقد راعها تعبير وجهه. هذا الرجل ذو الملامح الشيطانية لا يشبه بأي شكل الرجل الذي يسبح معها كل صباح، ويرقص معها في المساء، والذي كانت ابتسامته المرحبة بمجرد أن يراها تجعل قلبها يدق وروحها المعنوية تطال السماء. إن هذا ليس العاشق الرقيق الولهان الذي ضمها تحت سماء إيجة الجميلة والذي همس لها بكلمات الحب والغزل.

تكلم أولاً ولكن بنبرات باردة لدرجة جعلتها تجفل.

«أظنك تعلمين الآن من أنا؟»

هزت رأسها بالايجاب:

«نعم، عم سولاس».

«إذن فأنت تعلمين لماذا أنت هنا!»

ابتلعت ريقها. ما كان يبدو بسيطاً وسهلاً منذ قليل، كان الآن صعباً لدرجة أنها تعثرت وهي تبحث عن الكلام المناسب. ارتعشت من الخوف وهي تتصور غضبه عندما تخبره بالحقيقة. بالطبع سيلقي باللوم عليها لأنها انتحلت شخصية شقيقتها.

ثم بدأت تتكلم:

«إن الأمر ليس... ليس كما تظن».

قاطعها بصوت قاس:

«أنت خائفة أليس كذلك؟ الجميع يخافون عندما يأتي دور الحساب. إنهم في ذلك الوقت يتمنون بكل قلبهم لو أنهم تصرفوا بطريقة مختلفة. ولكن الفرصة تكون قد فاتت. لقد فاتت الفرصة يا استيل مارسلاند حتى لالتماس الرحمة. إنك لم تكتفي بسرقة ابن أخي ودفعه إلى عمل مهين، ولكنك حقرته بأن جعلت أحد أصدقائك يطرده بطريقة مخزية وحشية لأقصى درجة. إن مثل هذه الاهانة لأحد أفراد عائلتي عمل جنوني ستدفعين ثمنه غالياً».

نظر إليها بازدراء شديد. ورغم أنها فتحت فمها لتتكلّم إلاّ أن حلقها جف لدرجة أن الكلمات لم تخرج:

«ويمكنني أن أخبرك أيضاً أن إهانات أقل من ذلك بكثير لعائلة كريتية كثيراً ما أدت لمآسي لأننا لا نعفو ولا نرحم. إن الانتقام لا بدّ منه لحفظ كرامتنا».

كانت آلين ما زالت غير قادرة على النطق وهي تنظر إلى ملامح سيمون المكفهرة. ولكن فكرها كان مشغولاً بشعور بالارتياح الشديد لأن استيل لم تقع فريسة لرغبة هذا الرجل الوثنية في الانتقام. كان سيمون يشد حبل جرس وبصوت خال من الشعور كصوت القاضي أخبرها أنها ستبقى في حبس انفرادي

حتى يقرر أن يطلقها.

«حبس انفرادي؟»

أثار ذلك فضولها واهتمامها وكانت تريد أن تعرف المزيد قبل أن تخيب ظنه.

«...في غرفة طلبت أن تعد لك...في مبنى كان في وقت من الأوقات يؤوي سجناء في زنزاناته».

ابتسم ابتسامة قاسية جعلت آلين ترتعش وتشكر الله على نجاة شقيقتها. حبس انفرادي لفتاة مرحة وتحب الحياة مثل استيل! نظر سيمون تجاه النافذة فأدارت وجهها إليها. لفت نظرها لأول وهلة عناقيد الورود القرمزية. ولكن نظر سيمون كان يتجه إلى القلعة. كانت تبدو في وهج الشمس بشعة المنظر. خلفها الشاطىء بصخوره الضخمة المتراصة فوق بعضها كشاهد على الأمواج العاتية التي تتكسر على الشاطىء.

«هل هذه القلعة ملكك؟»

هز رأسه بالايجاب. كانت آلين ترى في مخيلتها شقيقتها وهي تنفذ العقاب الذي خططه لها سيمون. كم كانت سترتعب في الليل وهي تسمع همسات الريح كأنها أنين أشباح السجناء على مر الزمان.

وشعرت آلين أن سيمون يحملق فيها بشيء من الحيرة. وسمحت لنفسها بالابتسام. من الواضح أنه كان يتوقع أن ترتعش من الخوف وأن تحاول استعطافه بكل طريقة.

«لا أظن أنك تقدرين قسوة هذا العقاب تماماً. إنه يمكن أن يمتد لستة أشهر أو حتى لاثني عشر شهراً. وهذا يتوقف على شعوري بمرور الوقت. أنا الآن أشعر أني أريد أن أتركك هناك إلى الأبد. ولكني أظن أنه بعد فترة سأشعر أن العقاب قد يناسب الجريمة وسأحررك. ولكني أؤكد لك أن حياتك في الشهور القادمة ستكون كريهة لدرجة أنك ستتمنين الموت».

كان يتكلم بصوت هادىء، يدل على أنه إما عديم المشاعر أو عديم الخيال.

ومع ذلك إذا نظرت للأمر من وجهة نظره فإن آلين تستطيع أن تفهم مشاعره. إلى جانب أنه كان يتبع التقاليد. والتقاليد أقوى من أي قانون. وحملقت فيه وهي تتعجب لنفسها، إنها مازالت تحبه برغم بعده وبروده، وقناع الصقر الذي يخفي وراءه رقته التي عرفتها، رقته وكرمه اللذان كان سببهما رغبته الحارة في أن يكسب ثقتها الكاملة.

«إني أقدر قسوة العقوبة...»

توقفت وتحركت لداخل الغرفة عندما انفتح الباب للداخل وظهر خادم استجابة للجرس.

طلب منها سيمون أن تكمل ما كانت تقوله:

«إني مندهشة لأنك تظن أنك تستطيع تنفيذ عقابك. هل تظن أن فتاة يمكن أن تختفي بدون أن يسأل عنها أحد؟»

«من الذي سيسأل عن فتاة مثلك؟»

أجاب بكثير من الازدراء:

«واحد من أصدقائك؟ لا أظن ذلك. إن النساء مثلك يتمتع المرء بهن لحظة ثم ينساهن. ليس لك أقارب كما أخبرني سولاس».

سكتت آلين لأنها تذكرت أن استيل كانت لا تعترف بأن لها أقارب لأنها كانت ترى أن هذا أبسط وأفيد.

كان سيمون يتكلم ويخبر آلين أنها ستذهب على الفور إلى السجن مع هذا الرجل الذي ينتظر.

«إنه سيخدمك ويقدم لك الطعام طوال الوقت ولن ترى أحداً غيره».

كان هذا داعياً لأن تتحرك آلين ولكن قبل أن تتكلم وتشرح كان سيمون يتكلم مرة أخرى وقد لاحظت الحيرة في صوته.

«ألست خائفة؟»

كان في لهجته شيء من الاعجاب كما لو كان قد أعجب بشجاعتها برغم أنها

عدوته وضحيته:

«لا...»

قالت وهي تبتسم:

«أنا لست خائفة...ولكن سبب ذلك لا يرجع إلى شجاعتي. لقد حصلت خطأ على الشقيقة الأخرى...إن استيل لها أقارب. هي وأنا توأمتان متماثلتان. أنا آلين».

تجمدت ابتسامتها على شفتيها لأن كل ما رأته قناع برونزي:

«لا دهشة ولا غضب...»

قالت مكررة وقد نزل عليها الخوف كالطوفان.

«أنا آلين...»

«آلين؟ إن هذا اسم جميل. إذن فأنت توأم متماثلة».

ضحك بسرور كما لو كانت نكتة...»

«وماذا تتوقعين أن يكون رد فعلي لهذا الكلام؟»

نظر بسرعة إلى الخادم الذي ينتظر بوجه سلبي ويديه إلى جانبيه كما لو كان في وضع انتباه.

«سيمون».

قالت متلعثمة وهي تقترب منه:

«سيمون...أنا آلين...استيل أخبرتني عن سولاس. وأنا لم أوافق على الطريقة التي عاملته بها».

مدت يدها بحركة لا شعورية مستعطفة:

«إنها لم تستطع أن تذهب في الرحلة لذلك أعطتني تذكرتها».

كانت تتكلم بسرعة وباضطراب وقد بدا اليأس في صوتها لأنها تذكرت أن جواز سفرها معه...جواز سفر استيل.

«لقد أعطتني تذكرتها يا سيمون...يجب أن تصدقني».

وبطريقة لا إرادية تحركت عيناها إلى الرجل الواقف بجانب الباب ثم إلى

النافذة والقلعة الضخمة السوداء.

«أعطتك تذكرتها، أليس كذلك؟ وهل أعطتك جواز سفرها أيضاً؟»

«نعم، نعم أعطتني جواز سفرها أيضاً، يجب أن تصدقني... لا تنظر اليّ هكذا... إني أقول الحقيقة».

كانت ترتعش من الخوف وتتصرّف بالطريقة التي كان ينتظرها من البداية. صعدت الدموع إلى عينيها ولكن الرحمة لم تعرف طريقها إليه.

«إنك لا تستطيع أن تضعني هناك. لن أذهب... سيحاكمونك».

كانت تبكي وهو يقطب جبينه بصبر نافذ وقال بسخرية:

«إذن فأنت خائفة أخيراً؟ لقد كانت محاولة جيدة يا استيل مارسلاند. ولكنها ضعيفة ومضحكة. إذن فأنتما توأمتان متماثلتان؟ حسناً... لم يكن هناك شيء آخر يمكن أن تفكري فيه. أليس كذلك؟»

أشار للرجل الذي تقدم، زاغت عينا آلين. لم تظن أنها في يوم من الأيام ستشعر بمثل هذا الرعب.

«إنك لا تستطيع... أنا لست استيل. أوه. كيف أقنعك؟»

كم كانت ثقتها في غير محلها. لقد ظنت أنه سيشعر بالندم بمجرد أن يهدأ غضبه وسيرتب لها عودتها لبلدها. كان الرجل يقف قريباً ينتظر التعليمات. مرة أخرى أشار له سيمون وقال:

«خذها...»

تراجعت أمام الرجل فتبعها. واستمرت تتراجع ولكنها فقدت كل أمل وهي تنظر إلى أحد الرجلين ثم إلى الآخر. وشحب لونها وشعرت كأن ساقيها لن تستطيعا حملها طويلاً. فكرت في خالتها وفي جنكس وفي الصدمة التي قد تودي بحياة خالتها. لم تستطع آلين أن تفكر في احتمال أن تموت خالتها وأن يأخذوا جنكس إلى الملجأ. وارتعشت يداها وتكلمت هامسة كأنما تكلم نفسها:

«لو كنت أحضرت جواز سفري كنت استطعت أن أثبت شخصيتي».

نظرت إلى الرجل المنتظر وهي تتساءل إن كان سيمون قد ألغى أمره الأول. رفعت يدها إلى قلبها وضغطت عليه محاولة تهدئة ضرباته.

«إني أعيش مع خالتي وهي مريضة...والصدمة قد...»

نظرت آلين إلى سيمون ولكنها لم تره جيداً لأن الدموع كانت تملأ عينيها وقالت:

«أنا آلين، ولكني لا أستطيع أن أثبت ذلك لك».

كان ينظر إليها بتركيز وقد ضاقت عيناه. نظر إلى يدها التي تضغط على قلبها:

أمر الرجل باقتضاب أن يخرج. انسحب الخادم وأغلق الباب خلفه. وحملقت آلين غير مصدقة. هل استطاعت بمعجزة أن تؤثر في سيمون وتجعله يرجع عن إصراره الشديد على أن يتجاهل كل توسلاتها الحارة.

«هل تصدقني؟»

مسحت بيدها الدموع من عينيها وخديها. لم يقل شيئاً واستمر ينظر إليها. تذكرت حيرته على الباخرة. إنها تعلم الآن سببها. إنها لم تتصرف كما كانت استيل ستفعل أو على الأصح كما كان يتوقعها أن تفعل. إنه لم يتوقع أن تحمر خجلاً أو أن ترتبك من كلمات الحب والغزل التي كان يقولها لها. تساءلت وهي تنظر إليه إذا كان نفس الخاطر قد خطر له. إذا كان صحيحاً فإن شكوكه ستساعده في تأكيد ما قالته آلين. بحركة بطيئة قام وأحضر صورة مكبرة من أحد الأدراج سألها:

«هل هذه أنت؟»

هزت رأسها بالنفي، فقال بحدة:

«إنك لم تنظري إلى الصورة. هذا الثوب، لقد كنت ترتدينه عندما ذهبنا إلى ميكونوس».

قالت والخوف يعود إليها ثانية:

«إنه فستان شقيقتي».

«هل أعطتك تذكرتها وجواز سفرها وملابسها؟»

كانت السخرية في صوته فهبطت روح آلين المعنوية إلى الحضيض

«أنت وشقيقتك هل أنتما متماثلتان؟»

قالت بسرعة وحماس:

«نعم، حقيقة...انني...»

نظر إليها بعينين شبه مغلقتين:

«هل لديكما نفس الوحمات؟»

أسرع نبضها وشعرت بالفرح:

«لا...ليس عندي وحمة...أوه...لماذا لم أفكر في ذلك...»

ولكنها شعرت بحرارة عندما فهمت ما وراء سؤاله. إنه يعلم بالوحمة فإما أن يكون قد رأى الصور أو أن سولاس أخبره عنها. على كل حال هذا ليس هاماً. المهم هو أنها الآن قد أقنعت سيمون أنها آلين وليست استيل، ولكن هل أقنعته حقيقة؟ لماذا ينظر إليها هكذا؟ بدأت تكرر:

«أنا ليس عندي وحمة».

ثم اتسعت عيناها وقالت وقد جفت شفتاها:

«هل تصدقني؟»

أمال رأسه جانباً كما كان يفعل وقال:

«هل حقيقة تتوقعين أن أصدقك؟»

هز رأسه ورفع حاجبيه وذهب عنه العنف وحل محله شيء من التسلية. ولكنها شعرت أنها ليست في أمان بعد. إنه يريد إثباتاً أكيداً.

«لا أستطيع أن أجعلك تراها».

«ظننت أنك قلت أن ليس لديك واحدة».

«إنك تفهم ما أعني».

تلا ذلك صمت قصير:

«حسناً يا استيل أو آلين أو أياً كان اسمك. هل تستطيعين إثبات ادعائك أم أدق الجرس؟»

نظرت إليه وخداها يشتعلان وبدأت تقول:

«إني أقول الحقيقة».

ولكنه هز رأسه قائلاً باختصار:

«الاثبات».

شعرت بحرج شديد ولكنها كانت متأكدة أنه لن يقبل أية مناقشة:

«لا أستطيع...»

«لا تكوني بلهاء...إنك لن تكوني أول سيدة أرى صدرها».

برقت عيناه ولم يلاحظ ازدياد احمرار وجهها خجلاً من كلماته:

«لقد نفد صبري. كل هذه المراوغة تقنعني أنك استيل مارسلاند، ولكنني سأتأكد حالاً».

وقبل أن تدرك ما ينويه أمسك بها سيمون بقوة وفتح أزرار قميصها. أخذت تقاومه وهي تصيح:

«اتركني...إني أكرهك...»

ولكن محاولاتها في الفكاك منه لم تفلح وكان في نفس اللحظة يعتذر وهو مذهول بعد أن تأكد أنه أخطأ.

«أتمنى لوأستطيع قتلك...أتمنى لو كنت من عائلة كريتية حتى نستطيع أن نثأر منك».

أخذ يكرر أسفه وهي تزرر قميصها:

«صدقيني إني شديد الأسف. ما كان يجب أن أفعل ذلك. كان يجب أن أصدقك».

كانت الدموع تفر من عينيها وتسيل على خديها:

«إذا واتتني الفرصة في أي وقت أن أردّ لك ذلك فسأفعل».

كلمات غبيّة ولدها الغضب والشعور بالاهانة...والالم بسبب حبها السابق الذي تحول في هذه اللحظة إلى كراهية. لسبب ما كانت صورة كيت أمامها. لقد أهانها هو أيضاً. لقد وعدها بالزواج فقط ليكسب ثقتها وتأخذ الطفلة ثم خدعها، لقد أقسمت في ذلك الوقت أن تثأر من الرجال. أما الآن فهي تريد أن تثأر من رجل واحد للاهانتين معاً. وذلك الرجل هو سيمون ديوريس .

وقف ينظر إليها وقد ضايقه ما حدث. ثم لاحظت ذلك التغيير السريع في مزاجه كما لو كان يسقط قناعاً عن وجهه وتحول تعبيره من الندم إلى الغضب. استعدت آلين لمجابهته:

«لقد أخبرتني أنك تعملين موديل، من الواضح أن هذا غير صحيح».

«نعم. إنه غير صحيح».

«قلت أيضاً إنك تعرفين رجالاً كثيرين، هل كانت هذه كذبة أخرى؟»

نظرت آلين بعيداً:

«نعم...»

تلا ذلك صمت مخيف يعبر عن استهجان سيمون. وأخيراً رفعت رأسها. كانت عيناه تتهمانها ولكن تلك الثورة القاسية كانت قد اختفت منهما.

قالت متلعثمة وهي تقبض يديها بعصبية:

«لا أعرف لماذا قلت أني أعرف رجالاً كثيرين. ولكن أظن أني كنت أريد أن أجاريك».

ضاقت عيناه ونظر إليها نظرة ثاقبة قابلتها بثبات. إنها تحترم شخصيته هذه ولا تخشاها ولكن الشخصية الأخرى الباردة عديمة المشاعر هي التي أفزعتها وجعلت الدم يتجمد في عروقها

قال أخيراً بهدوء:

«أستطيع أن أخنقك لكل هذا الخداع واتخاذ وضع ليس وضعك بدون داع...»

قاطعته قائلة:

«لم يكن بدون داع...بالتأكيد لا تستطيع أن تلومني لأن خططك الشريرة لم تفلح».

وقال محذراً:

«لا تخطئي...إنك لم تجتازي الخطر بعد».

كان غضبه سبب هذا التهديد وشعرت أنه مغتاظ للخطأ الذي وقع فيه. ثم قال آمراً:

«اجلسي واخبريني بالقصة بأكملها. ما هي ظروف تغيير الخطة ولماذا لم تقم استيل بالرحلة؟»

شرحت له آلين ما حدث. وعندما ذكرت موضوع جواز السفر قطب قائلاً:

«ألا تعرفين أن هذا عمل غير قانوني؟»

«نعم أعرف. ولكني شعرت أنه لا داعي لانفاق المال لاستخراج جواز سفر خاص بي لأنه ليس هناك احتمال كبير أن أسافر للخارج مرة أخرى».

نظر إليها محملقاً وقال:

«إنك تجازفين بلا شك. أليس كذلك؟»

أجابت آلين بحدة:

«لم تكن هناك مجازفة كبيرة بالنسبة الى الجواز. أما بالنسبة إلى الأذى الذي كنت تنوي أن تفعله، فكيف كان يمكنني أن أعرف أن عم سولاس سيكون على المركب».

«لا...إني أعترف بذلك».

قال برقة بعد لحظة:

«هل أخبرتك شقيقتك بتفاصيل قصتها مع سولاس؟ وإلى أية درجة أساءت معاملته؟»

لم تكن آلين تريد أن تتحدث عن استيل بعد أن انجلى الموقف. ولكنها

نظرت إلى سيمون وفضلت ألاّ تغضبه مرة أخرى حتى لا يعود إلى مزاجه السيء.

«نعم لقد أخبرتني، وأرتني الهدايا التي أعطاها إياها...»

لاحظت عودة غضبه. من الواضح أنها لم تفلح في إبقائه على هدوئه. وظهرت الدموع بسرعة في عينيها نتيجة للتجربة المخيفة التي مرت بها. رأى دموعها ولكن نظرته كانت غير متأثرة. ثم تغير تعبيره بسرعة. ومسحت آلين الدموع بيدها. وقال بشيء من العاطفة:

«لا داعي للدموع يا آلين، لا تخشي شيئاً...»

مسحت دموعها مرة أخرى فسألها إذا كان لديها منديل. هزت رأسها بالنفي وقد أدهشها هذا السؤال العادي. ثم اندهشت أكثر عندما أخرج منديلاً من جيبه وأعطاه لها.

«مناديلي في حقيبتي».

نظرت إليه متسائلة بعد أن جففت عينيها:

«إن حقيبتيك هناك في القلعة».

ثم قام ودق الجرس وأمر الرجل أن يحضرها قائلاً:

«ضعها في أحسن غرفة للضيوف».

ابتسم لأن آلين أجفلت بدهشة وقالت بقوة:

«لن أبقى في هذا المنزل، أريد أن أعود لبيتي... الآن...»

«بيتك؟ بالتأكيد ستعودين للباخرة...»

هزت آلين رأسها بالنفي، وقالت إنها فقط تريد أن تعود لمنزلها. ثم تذكرت تلك الليلة عندما أعطتها استيل التذكرة والملابس. كم كانت منفعلة لأنها ستقوم بإجازة حقيقية أخيراً. وخاصة بعد أن سهلت لها الخالة سو الأمر وشجعتها، وعرضت بلا تردد أن تقوم بالعناية بجنكس. وملأت الدموع عينيها مرة أخرى فاستعملت المنديل لتجفيفها وقالت وهي ترتعش:

«لقد كانت أول إجازة لي منذ ست سنوات. لم أستطع أن أصدق عندما أعطتني استيل التذكرة. وأنت أفسدت كل شيء. أتمنى لو أستطيع أن أرد ذلك لك...»

كان وجه سيمون كالقناع ولكنها استطاعت أن تقرأ في عينيه الندم ولوم نفسه. إذن فهو ليس بدون مشاعر كما تصورت. وذهب وجلس بجانب النافذة وهو يقول:

«اخبريني عن نفسك، لقد ذكرت خالة تعيشين معها. هل لك أقارب آخرون غير شقيقتك هذه؟».

«لا. خالتي فقط».

«إذن تعيشين بمفردك معها؟»

ترددت لجزء من الثانية ثم هزت رأسها بالموافقة. لم يكن هناك سبب لأن تخبر هذا الرجل عن جنكس.

«نعم إني أعيش مع الخالة سو».

«قلت إنها مريضة؟»

«إنها تعاني من الروماتيزم. وأظن أن بها مرضاً آخر. إنها لم تخبرني لأنها تعرف أني أقلق ولكني أشعر أنها تعاني من مرض في القلب».

طرفت عيناه بتعبير غريب:

«إنك تقلقين...»

ثم أضاف بتعبير بالازدراء:

«إذن فأنت وشقيقتك متماثلتان في الشكل فقط لأنها لا تقلق على أحد. في الواقع أنها لا تعترف بأي أقارب لأنها أخبرت سولاس أنها ليس لها أحد في العالم».

«هذا شغلها».

اضطرت أن تقول ذلك ولكنها ندمت على هذا القول لأن سيمون وافق عليه بسرعة قائلاً إن كلمة شغل هي التعبير المستعمل لمثل نشاط أختها...ثم سألها عن عملها هي وقد سرّه احمرارها المفاجىء لكلامه الصريح عن شقيقتها.

ووضعت يديها على خديها وهي تتمنى لو لم تكن تحمر بهذه السهولة.

«إني أعمل بائعة في متجر».

«لماذا إذن بحق السماء كذبت؟ إني لا أرى ضرورة لذلك».

وبللت شفتيها بحركة عصبية:

«ما كان يجب أن أفعل. أظن أني كنت أريدك أن تنبهر بعملي بدلاً من أن تعرف أني بائعة بمتجر».

«إنك حمقاء غبية...تمثلين كذبة كاملة كهذه...والاسم...لم يكن هناك ضرورة أن تسمي نفسك استيل».

«بل كان هناك ضرورة لأن الاسم الذي في قائمة الركاب كان استيل».

«وما أهمية ذلك؟ إن كثيرين لهم أسماء أخرى غير تلك التي تظهر في قائمة الركاب. إني اعترف أنك أثرت حيرتي الشديدة لأنك كنت مختلفة عما توقعت. طبعاً لم أفكر في احتمال أي خطأ. أما فكرة التوأم فلم تخطر ببالي لحظة، وما كانت ستخطر ببالي حتى لو لم يكن سولاس قد أخبرني أن استيل ليس لها أقارب. ولكن برغم أني لم أفكر في أي خطأ إلا أني شعرت بحيرة شديدة مماجعلني أسألك عن عملك...»

وهز رأسه بسخط واستطرد:

«هل عادة تكذبين بهذه السهولة، وبغير سبب معقول؟»

وثارت بشدة، مما جعلها تبدو جذابة جداً. ولكنها لم تكن تعلم ذلك ولم تلاحظ الاعجاب في عيني سيمون.

«هل تحاول أن تجد الأعذار لتبرير سلوكك؟»

سألته بعنف:

«لم يكن لك الحق أصلاً في ذلك التخطيط الجهنمي للانتقام. ولو لم تفعل لأرحت نفسك ولما تعرضت أنا لكل ذلك».

بدا عليه البرود وعدم الاهتمام وللحظة بدا في تلك الصورة الوحشية.

«لقد أخبرتك...إن الانتقام أمر لا بد منه للمحافظة على كرامتنا».

لم تقل آلين شيئاً فسألها إذا كانت توافق على طريقة شقيقتها في الحيلة والأسلوب الذي تعامل به السذج أمثال سولاس.

«سبق أن قلت إني لا أوافق على ذلك، ولكن هذا لا يعني أني أريدها أن تعاقب. إنها شقيقتي برغم كل شيء».

«إذن فهل استنتاجي أنك لا تختلطين بها كثيراً صحيح؟»

«إني أزورها أربع أو خمس مرات تقريباً في العام».

«وهي؟ هل تأتي لزيارتك أنت وخالتك».

هزت رأسها بتردد:

«لا...استيل لا تزورنا أبداً».

مال للوراء وقد بدا عليه شيء من التوتر والقلق. ومرة أخرى شعرت أنه ليس بلا شعور كما يبدو في ظاهره. فبدت من خلفه الأشجار الطويلة التي تظلل المساحة الخضراء، وكانت أشجار الرمان القريبة تزهو بثمارها الحمراء. والسماء لامعة في ضوء الشمس الذهبي.

أخيراً تكلم في الموضوع الذي يشغلها:

«وماذا عن خططك الحالية؟ لا أرى لماذا لا تعودين للسفينة. إنها ستصل بيريه بعد غد. ويمكنك أن تلحقي بها هناك. وسأرتب لك رحلة بالطائرة وبالتاكسي وأي شيء آخر تحتاجينه».

«أشكرك، إنك كريم أكثر من اللازم».

استغرب لأنه لم يثر:

«إني اعتذر بإخلاص يا آلين. أعرف كيف تشعرين وأنا أفهم غضبك وشعورك بالاهانة...ولكن...»

أضاف بصوت خشن فجأة:

«...إن لديك عزاء كبيراً وهو أنك أنقذت شقيقتك. إني أعدك أنه بمجرد رحيلك

عن كريت سينتهي الموضوع كله».

نظرت إلى يديها. كانت مشاعر الكراهية ما زالت قوية لديها ولكن في مقابل ذلك كان هناك حبها الذي نما بسرعة في تلك الأيام الشاعرية على ظهر الباخرة كاسيليا... لم تكن تريد أن تحبه بل بالعكس كانت تريد أن تكرهه وأن تنتقم مما فعله بها.

سألته بنفس السخرية عندما لاحظت نظرته المتسائلة:

«هل تنتظر أن أشكرك؟»

هز رأسه، هل كان هناك شيء من الأسف في هذه الحركة؟

ورد قائلاً:

«لا يا آلين. إني لا أتوقع ذلك، وقد قلت لك الآن إني أقدر شعورك في الوقت الحالي. أنا آسف جداً أنك فزعت إلى هذه الدرجة، إني آسف حقيقة».

ثم توقف وتنهد بضيق:

«ولكنك مسؤولة أيضاً عما حدث. كل هذا التمثيل الغبي والكذب بخصوص عملك وبخصوص الرجال».

ثم نظر إليها وسألها بنبرة غريبة في صوته:

«هل لك صديق؟»

هزت رأسها بالنفي:

«أنا لا أخرج كثيراً ولذلك كنت أنتظر هذه الاجازة بشوق...»

اعترفت رغماً عنها. ولكنها سعدت جداً عندما رأته يقطب ثم قال:

«هل أستطيع أن أدفع لك نفقات إجازة أخرى؟»

كان يتكلم بإخلاص ولكنها هزت رأسها مرة أخرى. قالت بهدوء ومرارة:

«لا أريد شيئاً منك. أريد فقط أن ترتب عودتي. لأن ليس لدي نقود تكفي تذكرة الطائرة والا ما كنت قبلت ذلك منك».

تلا ذلك صمت طويل وغير مريح. كانت آلين تضغط على منديله الكبير

في يدها وكان هو غارقاً في أفكاره. أخيراً سألها سيمون إذا كانت ترتيباته تلائمها. فكررت أنها تفضل العودة لمنزلها. ولكنه عندما ذكر خالتها شعرت أنه من الأفضل أن تعود للمركب في بييريه حسب اقتراح سيمون حتى لا تضطر لأن تشرح لخالتها ما حدث وسبب اختصار الرحلة. وبعدها سيكون باقياً ثلاثة أيام فقط حتى تنتهي الرحلة وتعود لمنزلها.

«لا تنسى أن تعطيني جواز سفري...جواز استيل».

«لا...سأعطيك إياه الآن».

قام إلى المكتب ونظرت آلين لأول مرة حول الغرفة. كانت مؤثثة تأثيثاً فاخراً بطابع غربي عصري. وتذكرت فجأة ما كانت تقوله على سبيل المزاح من أنها ستجد لنفسها زوجاً غنياً. ها هو ذا...نظرت إلى الظهر العريض المستقيم بالرأس الأسمر المتكبر. كان ينظر إلى صورة استيل مارسلاند في جواز سفرها. ثم تحرك ورفع رأسه. لا جدال في أنه جذاب. حتى في تعاليه.

استدار ببطء وأخذ ينظر إليها وقد رق تعبيره وشعرت أنه يتذكر تعليقها التعس عن انتظارها الحار للاجازة، نظرت بعيداً لأن عينيها كانتا تكشفان شيئاً مختلفاً تماماً عما تريد أن تقوله...كراهيتها له ورغبتها العميقة في أن ترد له الصاع صاعين وأن تجعله يندم على اليوم الذي أعطاها فيه اهتمامه فقط ليكسب ثقتها حتى تصبح ضحية سهلة له. ونسيت أن كل هذا كان المقصود به استيل. وحتى لو تذكرت ذلك فما كان ذلك سيؤثر لسبب بسيط وهو أنها هي التي تحملت الأذى وليس استيل.

«هذا هو الجواز. وفي المرة القادمة استخرجي جوازاً خاصاً بك. لأنه بغض النظر عما حدث هذه المرة فإنها جريمة أن تستعملي جواز سفر شخص آخر حتى لو كان هذا الشخص هو شقيقتك التوأم».

ناولها الجواز ومدت يدها لحقيبتها، ولكن قبل أن تضعه فيها نظرت بشدة إلى الصورة. لقد تنبأت استيل أنهما لن يكونا متشابهتين لأن العمل الشاق

والقلق سيجعلان آلين تشيخ قبل الأوان. وشعرت آلين الآن أن شقيقتها كانت على حق، ونظرت إلى سيمون وسألته:

«أخبرني ، ماذا كنت تظن سيحدث بعد إطلاق سراح استيل؟ بالطبع كنت تعلم أنها ستبلغ البوليس؟»

ابتسم بلا مرح:

«عند إطلاق سراحها كنت سأحذرها وأخبرها بما سيحدث لها لو فكرت أن تذكر ما حدث لها، وأنا متأكد تماماً أنها كانت ستنفذ ذلك».

اقشعرت وهي تتساءل إذا كانت استيل ستقدر تماماً المصير الذي نجت منه عندما تعود وتخبرها بماحدث.

وضعت الجواز في حقيبتها ثم قالت:

«ماذا سأفعل الآن؟»

لدهشتها رأت تعبيراً من الضيق على وجهه وقال:

«لا شيء...ستبقين هنا كضيفتي...»

قالت بعنف وهي تقبض على حقيبتها:

«لا...إني أريد أن أذهب إلى أي مكان آخر..إذا أمرت بتوصيلي إلى هيراقليون سأبقى في فندق حتى ترتب تذكرة الطائرة لي».

ومرة أخرى رأت الضيق على وجهه. هل يمكن أن يكون السبب هو حزنه لرغبتها في الهروب السريع منه؟ إن هذه الفكرة تبدو مضحكة. ومع ذلك فقد ألحت عليها:

«إني أفهم أن يومين في صحبتي ليسا محببين إليك ومع ذلك يجب أن تتحمليها لأن هذه عادة يونانية لا يمكن مخالفتها. لا يا آلين لا تقاطعيني بالملاحظة الساخرة التي على لسانك لأنك لست بطبيعتك ساخرة».

وتوقف لحظة عندما شهقت لهذه الملاحظة الدقيقة عن شخصيتها ثم استطرد قائلاً:

«أعترف أنني أستحق كل ذلك، ولهذا السبب فأنا أريد التكفير عن خطأي. لا أريدك فقط أن تكوني ضيفتي ولكني أريدك أن تعرفي أنك إذا احتجت لأية معونة في المستقبل فما عليك إلاّ أن تتصلي بي وسيصلك ما تريدين. ويجب أيضاً أن تتركي لي عنوانك».

ونظر إليها:

«هل تعديني أنك ستتذكرين عرضي هذا وأن كبرياءك وعنادك لن يمنعاك من الاستفادة منه؟»

وفتحت فمها بطريقة تلقائية لترفض العرض. ولكنها امتنعت لسبب لم تفهمه لأنها بالتأكيد لن تطلب المعونة من هذا الرجل. ومع ذلك فقد وجدت نفسها تقول:

«نعم يا سيمون إني أعدك».

ابتسم لها بطريقة بعثت الدفء والحيوية في كل جسدها وكان صوته شديد الرقة وهو يدق الجرس ويقول:

«ستأخذك الخادمة لغرفتك يا آلين وستجدين كل ما تحتاجينه فيها. آمل أن تكوني مرتاحة. العشاء يقدم الساعة التاسعة عادة ولكن قد تفضلينه قبل ذلك».

هزت رأسها بالنفي وقد أذهلها لطفه ومنعها من الاحتجاج. من الواضح أنه كان يقدر الخطأ الفاحش الذي ارتكبه وكان تواقاً لاصلاحه. ووجدت نفسها تقول:

«لا...التاسعة تناسبني...»

ودخلت الخادمة السمراء الأنيقة الغرفة ثم قادتها من خلال بهو فسيح على جانبيه أقواس على الطريقة التركية إلى سلم واسع في مواجهتها. وصعدت السلم وفتحت لها الفتاة التي كانت تدعى كيريا باب غرفتها ووقفت جانباً لتسمح لها بالدخول.

«إذا احتجت أي شيء يا سيدتي دقي الجرس إنه بجانب السرير».

«أشكرك...»

وخرجت الخادمة وأغلقت الباب خلفها. وجلست الين على السرير وسمحت لنفسها بالتفكير فيما حدث لها منذ تركت منزلها. هل كان ذلك منذ عشرة أيام فقط؟ لقد حدث لها الكثير في هذه الفترة حتى أنها بدت كسنين. كانت الخالة سو و جنكس تبدوان غريبتين بالنسبة إليها. أما استيل فهي مجرد صورة. والشخص الوحيد الحقيقي هو سيمون ديوريس الكريتي لشخصيته المزدوجة والقوانين الخاصة به، والذي استطاع برغم اضطراره للاعتذار بعد أن أتاه الدليل الدامغ على خطئه، أن يحتفظ بكبريائه وتعاليه...

٧ ـ وحيدة كالماء في النهر

قبل أن يقف التاكسي أمام الباب كانت جنكس تندفع خارج المنزل وقد تهلل وجهها وبرقت عيناها البنيتان بالترحيب.

«أمي... لقد تغيّبت مدة طويلة وأنا لم أكن مسرورة. وكذلك لم تكن الخالة سو».

«يا حبيبتي...»

وحملتها آلين وقبلتها غير ملقية بالاً إلى سائق التاكسي الذي وقف بصبر ينتظر نقوده.

«هل كنت طفلة عاقلة ولم تتعبي الخالة سو؟»

«عاقلة جداً... اسأليها».

صرفت آلين السائق وحملت حقيبتها وصعدت السلالم وهي تشعر بفيض من المشاعر للطريقة التي رحبت بها الطفلة. من الواضح أنها افتقدتها وكذلك الخالة سو. وكان الأفضل لو بقيت معهما حيث الحب والحنان والأمان. كيف ستمثل المرح والسعادة التي تنتظرها الخالة سو؟ يجب أن تجعلها تشعر أنها متشوقة لتحكي لها كل ما حدث. يجب أن تحكي لها قصة، لا ذكر فيها لاسم سيمون ديوريس برغم أن اسمه سيكون على لسانها طوال الوقت وصورته أمام عينيها. عندما دخلت غرفة الاستقبال حيث كانت خالتها تنتظرها كان أول شيء لفت نظرها هو شحوبها الشديد وجلد وجهها الذي كان يبدو أكثر شفافية والعروق الزرقاء تظهر من تحته. حبست آلين أنفاسها.

«خالتي الحبيبة، هل أنت بخير؟»

«بالطبع يا حبيبتي. تعالي اجلسي هنا، واحكي لي كل شيء».

ونظرت إليها بعينين باحثتين، ففكرت آلين أنه سيكون من الصعب أن تخدع السيدة العجوز، ومع ذلك يبدو أن قوة خفية ساعدتها لأنها استطاعت بشكل ما أن تقنع خالتها أنها قضت وقتاً ممتعاً في الرحلة وأنها سعيدة بذلك.

«إني مسرورة جداً يا عزيزتي».

ومرة أخرى نظرت إليها نظرة فاحصة وقالت:

«ألم تقابلي أحداً... أعجبك بشكل خاص؟»

فهزت آلين رأسها بالنفي ثم أخذت جنكس ووضعتها على ركبتها كما طلبت الطفلة. وقالت بمرح مفتعل:

«لا... لا أحد... آسفة لأن أخيب ظنك».

كانت جنكس تستمع بهدوء عندما حكت آلين قصة الرحلة وسألتها جنكس وهي تضع ذراعيها حول رقبة آلين وخدها بنمشه ملتصقاً بخدها، عن هؤلاء الثلاثة الذين كانت تصاحبهم آلين على ظهر السفينة. ثم قالت وهي تطبع قبلة على خدها:

«ماذا كان اسمهم؟»

«كان اسم السيدة دونا وزوجها جيم. وكان اسم الشاب الآخر هال».

«هال؟»

وقطبت جنكس جبينها قائلة:

«أنا لا أحب هذا الاسم. لم أسمع به من قبل. لماذا لم تجدي رجلاً لطيفاً واسمه كاسم داريل؟»

أمسكتها آلين بعيداً عنها ونظرت إليها بحنان ولحظت الخدش على جبهتها الذي لم تلحظه من قبل. وقالت وهي تضحك:

«لم يكن هناك شخص مثل داريل».

ثم سألت عن الخدش فأجابتها الخالة سو قبل أن ترد جنكس:

«كانت تتشاجر مرة أخرى بالطبع، لا أعرف لماذا تسألين. وانزلقت جنكس من على ركبة آلين وجلست على الأرض تنظر إلى يديها. واستطردت الخالة سو تقول:

«إن عليك أن تواجهي أباً غاضباً. إن والد سوزان هاغرتي قال إن جنكس كادت تقتل سوزان».

«تقتلها...؟ ما هذا الكلام؟ إن حجم سوزان ضعف حجم جنكس».

«ربما ولكنها أقل عدوانية. جنكس. اخبري والدتك ماذا فعلت بسوزان».

وابتلعت جنكس ريقها بعصبية مما أخاف آلين لأن جنكس نادراً ما كانت ترتبك مهما كان الخطأ الذي تؤنب من أجله.

وقالت أخيراً مدافعة عن نفسها:

«لقد كانت غلطتها، قالت إن والدتها قالت لوالدها أن والدتي سيئة لأنها ولدتني بدون أن يكون لها زوج».

ونظرت إلى آلين التي اصفر لونها فقد كان أغلب الجيران يعلمون كيف أتت جنكس لآلين ولكن آل هاغرتي وفدوا على الحي منذ شهرين فقط ومن الواضح أن السيدة هاغرتي أساءت الفهم.

«لقد رفضت...»

وتوقفت جنكس عندما رأت أمها تقطب جبينها فجأة ثم قالت:

«لقد ضربتها عدة مرات ورفستها أيضاً».

كانت عيناها تغليان وكانت قبضتاها الصغيرتان مطبقتان.

«قلت لها أني سأكسر رأسها إذا قالت والدتها ذلك مرة أخرى».

قالت آلين لخالتها بحيرة:

«ولكنها لم تفهم المقصود؟»

«إن كل ما ضايق جنكس هو أن أحداً قال إنك سيئة. من الواضح أنها لم تفهم ولكنها تثور إذا جرؤ أحد وقال أية كلمة ضدك».

فتنهدت آلين.

«إن هذا شيء مرض ولكن ماذا سنفعل بالطفلة؟»

نظرت إليها نظرة صارمة وهي تجلس على الأرض بمظهرها المشاكس:

«قلت عندما سألتك، إنك كنت عاقلة. فهل هذا هو العقل؟ أن تتشاجري مع البنات الصغيرات؟»

وهزت جنكس رأسها وهي ترسم بأصبعها خطأ حول حذائها. وقالت أخيراً وهي عابسة:

«ما كان يجب أن تقول ذلك».

«إن سوزان لم تقل هذا ولكن والدتها هي التي قالت».

«نعم...ولكني لا أستطيع أن أضرب والدتها أليس كذلك؟ لذلك ضربت سوزان بدلاً منها».

وعنفتها آلين بشدة:

«لم يكن من حقك أن تضربي سوزان: لم تكن غلطتها أن والدتها قالت شيئاً لم يعجبك».

وأضافت الخالة سو:

«والآن سيحضر والدها ويتشاجر مع والدتك لشيء لم تفعله هي».

«إذا صاح في والدتي فسأضرب سوزان مرة أخرى».

«لن تفعلي ذلك».

وأشارت آلين للباب:

«اذهبي وابقي في غرفتك. إنك بنت مشاكسة. كيف استطعت أن تضربي سوزان هكذا؟»

سالت الدموع على خديها المستديرين وهي تقف:

«كنت فقط أدافع عنك. يجب أن يدافع الشخص عن أمه».

وتحركت ببطء ناحية الباب وهي منتبهة لترى تأثير كلماتها على أمها. نظرت آلين على الفور بعيداً فخرجت جنكس من الغرفة. وبعد لحظة عادت.

«لقد قلت إنك ستحضرين لي هدية من رحلتك».

ولكن الخالة سو قاطعتها قائلة:

«هل تستحقين هدية وأنت تثيرين لوالدتك كل هذه المتاعب؟ اذهبي إلى غرفتك على الفور».

«هل هد... هديتي في إحدى حقائبك؟»

كانت الدموع تنهمر وهي تشير إلى الحقائب التي تركتها آلين في الصالة.

«نعم يا جنكس».

برغم كل محاولات آلين أن تبقى حازمة إلاّ أنها كانت تضعف... ولكنها لن تسمح لها بالبقاء بعد أن أمرتها الخالة سو بالذهاب:

«يمكنك أن تأخذيها وقت تناول الشاي عندما تنزلين من غرفتك».

وقالت الخالة سو بعد أن خرجت جنكس وأغلقت الباب:

«يجب أن نفعل شيئاً بالنسبة لهذه الطفلة. إن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر».

«سأحاول أن أكون أكثر حزماً معها. متى سيحضر السيد هاغرتي لمقابلتي؟»

«هذا المساء. لقد طلبت منه أن يحضر في الغد لأنك لن يسعدك رؤيته بمجرد عودتك من الاجازة. ولكنه كان في حالة غضب شديدة وقال إنه لا ينوي تأجيل الموضوع أكثر من اللازم. لقد حاولت أن أهدئه حتى لا تواجهي بكل هذا بمجرد عودتك ولكنه أصرّ على مقابلة والدة جنكس كما قال».

«أوه... حسناً... إنه لا يستطيع أن يأكلني».

كانت روحها المعنوية منخفضة. يبدو أن الحياة لا تحمل لها شيئاً ساراً. وتساءلت لماذا يحدث لها كل هذا؟ ومما أضاف لكآبتها أن حالة الخالة سو الصحية لم تكن على ما يرام برغم تأكيداتها بعكس ذلك. كان قد حدث لها تغيير كبير وواضح في هذين الأسبوعين. وقد تمنت آلين أكثر من أي وقت مضى لو لم تكن قد ذهبت في تلك الرحلة المشؤومة.

«كنت أتمنى لو وجدت شاباً لطيفاً. إني أريد أن أراك متزوجة قبل أن... قبل أن يحدث لي أي شيء».

كان وجهها ينقبض من الألم وهي تتحرك على الأريكة.

«لا تتكلمي هكذا يا خالتي. هل الألم شديد؟»

«إنه يوم سيء بالنسبة إليّ ولكنه ليس أسوأ الأيام. ولكن لنعد لموضوعك. لقد قررت أن تخرجي أكثر لتكون لديك الفرصة لتقابلي شاباً مناسباً. إنك جميلة جداً. لا يا عزيزتي. لا تقاطعيني إن لديّ بعض المجوهرات الأخرى وقد حضر نفس المشتري منذ أيام وعرض عليّ عرضاً معقولاً. وعدته أن أرد عليه وسأفعل. وستحصلين على النقود لتشتري بعض الملابس الجميلة لتخرجي وتذهبي للرقص وما أشبه».

وقامت آلين وذهبت إلى المطبخ لتعد الشاي وهي تشعر بالحزن يثقلها. كان تصرف خالتها له مغزى معين وتساءلت آلين عما قال لها الطبيب. وفكرت لحظة أن تتصل هي بالطبيب ولكن لو علمت الخالة سو فستغضب. إن الخالة سو تحب أن تحتفظ بهذه الأمور لنفسها ولم يحدث من قبل أن تعدّت آلين على خصوصياتها.

جلست استيل على الأريكة وحملقت في آلين التي تجلس على مقعد في الناحية الأخرى من الغرفة. وكانت آلين قد قصّت عليها القصة بأكملها بعد أن أعادت إليها جواز سفرها. رأت وجه شقيقتها يشحب بالتدريج وهي تحكي لها ما حدث ثم أصبح أبيض تماماً.

«لقد نجوت بأعجوبة».

تكلمت أخيراً بعد أن أخذت سيكارة من العلبة وأشعلتها:

«يجب أن يوضع هذا الرجل في السجن».

وسكتت منتظرة آلين، ولكن آلين لم تتكلّم بل راحت تفكر في الاهانة التي لحقت بها. وقررت أنها لن تستطيع التغلّب على تأثير مقابلتها مع سيمون :بوريس إلاّ بعد مدة طويلة.

وسألت استيل بفضول وهي تتعجب من التعبير على وجه شقيقتها:

«إياك أن تكوني قد وقعت في غرام هذا الشخص؟»

«لا تكوني بلهاء...أنا لا أقع في الحب بهذه السهولة».

وضحكت آلين ضحكة مهتزة ولكنها أحنت رأسها:

«كيف كان شكله؟»

سألت استيل وقد بدا وجهها يعود إلى اللون الطبيعي. ولكنها لم تكن قد تمالكت نفسها بعد.

«وسيم أطول من أغلب اليونانيين الذين رأيتهم».

كانت آلين تتكلم بحذر ورأسها منحنياً. وكانت استيل تدخن بشراهة وفي عينيها تعبير حاد.

وشعرت آلين بالرضى لأن شقيقتها قدرت الموقف وفهمت كيف نجت من العقوبة المدبرة لها.

«هل وعد فعلاً بأن ينهي الموضوع؟»

«لقد أخبرتك أنه وعد».

«هل يبدو من ذلك النوع من الرجال الذين يحفظون كلمتهم؟»

«أنا متأكدة تماماً أنه سيفي بوعده».

وتنهدت استيل بارتياح. واسترخت على الأريكة وهي تحملق في دخان سيكارتها. قالت بعد فترة:

«يا لها من فرصة...لو كنت مكانك لاستفدت من هذا الموقف. كنت أجبر هذا الشخص على أن يدفع ثمن هذا الخطأ».

«يدفع؟ ماذا تعنين؟»

«ألم ترين الحظ الذي هبط عليك؟ آلين كم كنت بلهاء...إذا كان سيمون ديوريس غنياً إلى هذه الدرجة فلا بد أنه معروف في بلده وله مكانة خاصة. لو كنت مكانك لطلبت منه أن يعوضني وإلاّ...»

برقت عينا استيل وسرحت بعيداً وهي تحسب حسبتها:

«إنه رجل أعمال كبير لا شك في هذا...وإذا كان يريد أن يحافظ على سمعته بين شركائه وأصدقائه فسيكون عليه أن يدفع لي مبلغاً صغيراً تعويضاً لي على ما تحملته. هل قلت مبلغاً صغيراً؟ لا...مبلغاً كبيراً إذا كان يريد أن يشترى

سكوتي».

وطرفت عينا آلين. وهي لا تستطيع أن تصدّق أذنيها:

«هذا يصبح طلب نقود تحت التهديد».

«لا شيء من هذا القبيل. إنه مجرد طلب تعويض لما قاسيته على يديه. إنه لا يتوقع أن يرتكب هذا الخطأ الفاحش ثم لا يتحمل نتيجته. ألم يعرض عليك شيئاً لاصلاح خطأه؟»

«لقد عرض أن يدفع لي مصاريف إجازة أخرى ورفضت، لم أكن أريد أي شيء منه. كنت أريد فقط أن أذهب».

فتنهدت استيل بسخط:

«إنك غبية يا آلين... تلك الرحلة كلّفت أكثر من أربعمائة جنيه. كان يمكنك على الأقل أن تحصلي على هذا المبلغ. ما الذي جعلك ترفضين؟»

«الكبرياء».

«إن هذه أيضاً عفا عليها الزمان كمثلك البلهاء عن العفة... كان يمكنك أن تستفيدي بهذا المبلغ. كنت سأطلب خمسة آلاف على الأقل حتى لا أتكلم».

وسكتت قليلاً ثم بدا عليها المرح وهي تقول:

«تصوري نفسك الخجولة وأنت مضطرة لأن تثبتي أن ليس لديك وحمة. إني أراهن أن وجهك احمر خجلاً».

«لم تكن تجربة سارة يا استيل. وهو أمر لا يثير الضحك. إني أتمنى لو لم أذهب إلى تلك الرحلة».

«كلام فارغ. كان لديك الفرصة للحصول على مبلغ إذا أحسنت استغلال الموقف».

ولم ترد آلين. كانت رغبتها الوحيدة أن تنسى سيمون ديوريس وأن تعود لحياتها الهادئة برغم رتابتها، حياتها قبل أن تقرر بغباء أن تستغل تلك التذكرة التي أعطتها إياها شقيقتها.

ولكنها فكرت كثيراً فيما قالته لها استيل. كما أنها ربطت بين ذلك وبين

رغبتها في أن تنتقم من سيمون لما سببه لها من قلق وإهانة. وقد حدث بعد شهر فقط من عودتها من تلك الرحلة أن ماتت خالتها. وبعد أسبوع واحد من ذلك أخطرها مالك البيت لتخليه. فلجأت لأحد المحامين لتستشيره ولكن نقودها ضاعت بلا فائدة لأنها لم تكن المستأجرة ولم يكن من حقها أن تبقى في المنزل. كان أمامها شهر لتبحث لنفسها عن منزل آخر. لذلك حصلت على إجازة لمدة أسبوع من عملها لتبحث عن شقة. وفي نهاية الأسبوع أدركت أن الكل يرفض أن يؤجر لها بسبب الطفلة واضطرت آلين أن تعود إلى عملها وقد وافقت إحدى الجارات أن تأخذ جنكس بعد عودتها من المدرسة. ولكن سرعان ما طلبت الجارة من آلين أن تبحث عن شخص آخر يعتني بالطفلة لأن تصرفاتها كانت لا تحتمل...وقالت جنكس وهي تمسك بيد آلين وتضعها على خدها:

«لماذا لا تريدني السيدة براونز؟ أنا لم أفعل شيئاً».

«كنت مشاغبة، إذ كنت تتزحلقين في الصالة».

«كان البلاط يلمع بطريقة جعلتني أريد أن أتزحلق، كما أتزحلق على الثلج».

«ولماذا وضعت يدك تحت ماء الصنبور في الحمام ونثرت الماء على الجدران؟»

«كان يجب ألاَّ أفعل هذا. ولكنها كانت لعبة جميلة».

ونظرت إليها آلين وتنهّدت بعمق. لقد أحضرتها للتو من عند جارتها التي عبرت لها عن أسفها، وعن عدم استعدادها لأخذ الطفلة مرة أخرى. والآن لا يوجد أحد ليأخذ جنكس و آلين لا تدري كيف تتصرف.أو لمن تذهب. وكانت القشة الأخيرة. بعد أن كانت آلين قد أعطت الطفلة حمامها ووضعتها في الفراش. لقد سمعت طرقاً على الباب وعندما فتحت وجدت أمامها للمرة الثانية والد سوزان هاغرتي. خفق قلبها وشعرت أنها لا تستطيع أن تتحمّل أكثر من ذلك ولكنها قالت بأدب:

«تفضل يا سيد هاغرتي».

دخل ولكنه وقف وراء الباب وبدأ يصيح:

«طفلتك هذه إذا لم تفعلي شيئاً لها فأنا سأفعل...لقد ضربت ابنتنا سوزان مرة

أخرى اليوم وسأكلم الناظر في الصباح ولكن كما قلت، يا آنسة مارسلاند أنا سأتولى تأديبها. إنها تحتاج لعلقة قاسية ولو كان لها أب لتولى ذلك ولكنك تتركينها تفعل ما تشاء. إنك لا تسيطرين عليها. وأقول لك إنها ستصبح مجرمة صغيرة قبل أن تكبر».

«مجرمة؟ كيف تجرؤ أن تقول ذلك؟»

كانت آلين قد بدأت تفقد أعصابها من الطريقة التي تكلم بها الرجل مؤكداً على كلمة آنسة. ولكنها تمالكت أعصابها لأنها اعترفت أن جنكس كانت مخطئة بضرب سوزان واعتذرت عن ذلك وقالت إنها سترى أن ذلك لن يتكرر.

«وكيف ستمنعين تلك الطفلة التي لا يمكن قيادها عن مهاجمة إبنتي».

«سأكلمها وأفهمها...»

«تكلمينها. هذا هو عيبكن أيتها النساء. إن الأمر يتطلب التصرف...وسأتصرف أنا إذا حدث هذا مرة أخرى. ليكن في علمك».

واستدار وخرج من الباب ثم صفق باب الحديقة بعد أن خرج منه. وقفت آلين في مكانها وقد اصفر لونها تماماً وشعرت بالتعاسة الكاملة لدرجة أنها كانت تريد أن تبكي. وأغلقت الباب بهدوء ثم صعدت السلالم وذهبت لغرفة جنكس. لم تكن الطفلة قد نامت بعد. وأضاءت آلين النور ووقفت تراقب جنكس وهي تجلس في فراشها وهي ترمش لتعتاد عيناها الضوء. ونظرت آلين للطفلة...للنمش على وجهها وأنفها الأفطس المضحك والابتسامة العذبة التي ظهرت على وجهها. وتنهدت آلين. إنها تحب هذه الطفلة وتجد جمالاً في ملامحها برغم أن خالتها كانت لا ترى ذلك فيما عدا العينين الواسعتين المعبرتين. قررت آلين أن على جنكس أن تعرف الحقيقة بالتدريج. يجب أن تعرف أنها ليست ابنتها...ولكن ليس الآن. كيف ستخبرها عندما يحين الأوان؟ بالتدريج ولكن كيف يمكن إعطاء مثل هذه المعلومات بالتدريج؟ ومع ذلك إذا أخبرتها مباشرة فستكون صدمة قاسية. لو كانت جنكس أقل ذكاء لكان الأمر أسهل

لأن إدراكها سيكون بطيئاً مما يخفف الصدمة.

«ماذا حدث يا أمي؟»

«حضر السيد هاغرتي مرة أخرى، قال إنك ضربت سوزان. هل هذا صحيح؟»

«نعم ولكنها شدت شعري أولاً. لقد آلمتني بشدة وسبب لي صداعاً طوال الوقت بعد الفسحة. لذلك ضربتها عندما خرجنا من المدرسة. لقد ضربتها لأنها شدت شعري يا أمي. أنا لم أضربها بدون سبب».

«ولماذا شدّت شعرك؟»

«لم يكن هناك سبب على الاطلاق، كنت ألعب مع جيمس في الفناء فأتت سوزان وشدت شعري.»

ونظرت إليها آلين بتركيز. لم يحدث من قبل أن كذبت عليها الطفلة وهي الآن تقابل نظراتها بثبات.

«حسناً. نامي الآن».

«هل أنت غاضبة مني؟»

هزت آلين رأسها بالنفي. سوزان لها والد يدافع عنها و جنكس ليس لديها أحد. آلين لا تشك في أن سوزان قد شدّت شعرها برغم أن الخالة سو كانت تقول إن سوزان ليست عدوانية. لو كان لجنكس والد لقابل السيد هاغرتي ولأحضر جنكس وسمع منها ردّها وسوّى الأمر بعدل. ولكن ماحدث أن آلين جزعت وهكذا أصبحت جنكس هي الملومة.

«لا يا حبيبتي. إني لست غاضبة...ولكن يجب أن تكوني فتاة عاقلة وألا تتشاجري كثيراً مع الآخرين».

«ولكن رأسي كان يؤلمني طوال الوقت حتى عدت للمنزل».

ولم تقل آلين شيئاً ولكنها غطت جنكس ثم قبلتها على خدها.

«هل أنت حزينة بسبب الخالة سو؟»

«نعم يا عزيزتي».

«إننا نشعر بالوحدة بدونها. أليس كذلك؟ ولكننا سنراها في السماء. إن أخت مايكل بوث الصغيرة ماتت و مايكل قال إنه سيراها في السماء، وقال إننا نرى جميع الناس في السماء فلا تحزني يا أماه. عندما نذهب أنا وأنت للسماء سنكون جميعاً معاً».

تثاءبت جنكس ثم أغمضت عينيها. وأطفأت ألين النور ثم خرجت من الغرفة ونزلت إلى أسفل ثم غسلت الأطباق وجلست أمام المدفأة تحملق في النار وتفكر في كلمات شقيقتها عن التعويض من سيمون ديوريس وعن حمله على أن يدفع ثمن سكوتها...

وفكرت أيضاً في رغبتها الشخصية في الانتقام والتي كانت قد ماتت تقريباً عند تركها جزيرة كريت. ولكنها عادت الآن للحياة وأخذت تنمو وتنمو كعشب ملتف لا يمكن اقتلاعه. وتذكرت أيضاً أن سيمون طلب منها أن تتصل به إذا ما احتاجت لمعونة في أي وقت.

نعم... إنها ستتصل به. الحياة أصبحت عبئاً ثقيلاً، كما أن سلوك جنكس يزيد الأمور تعقيداً لأن ألين مضطرة الآن لأن تبحث عن عمل نصف الوقت لتكون موجودة عند عودة جنكس من المدرسة. إن مرتب ألين الحالي يكفيها بالكاد وهي تتوقع أن يصلا إلى حالة الجوع إذا قل دخلها أكثر. إلى جانب أن مشكلة السكن لم تحل بعد. وقبل أن تنقضي الليلة كانت ألين قد قررت بحزم أن تطلب من سيمون مبلغاً يكفي للحصول على مسكن لها و لجنكس.

ـ أنت صفقة رابحة

بمجرد أن أرسلت آلين رسالتها بدأ ينتابها الخوف. إن سيمون ديوريس ليس الرجل الذي يمكن إرهابه. لا هي ولا أي شخص آخر يستطيع ذلك. إنها لم تفصح عما يدور بخلدها في الرسالة. بل على العكس، طلبت بأدب أن يحضر ليراها مذكرة إياه بوعده لها. ولكن لا شك أن لهجة الرسالة كانت حازمة سيستطيع أن يقرأ بين السطور أنها لن تقبل أية ترضية تافهة. ومن المحتمل أنه سيثور لهذا التهديد المهذب وسيتجاهل الرسالة تماماً. إذا فعل ذلك فلن يكون أمام آلين أية حيلة أخرى لأنها ليست لديها النية لأن تلجأ إلى أساليب أكثر عنفاً للحصول على نقود منه. ولكن إذا حضر فإنها ستتصرف بكل طريقة مهددة إياه بمقاضاته لخطفه لها بالطريقة التي تمت.

كانت آلين قد عادت لتوها من العمل وكانت في المطبخ تجهز لنفسها شطيرة عندما دقّ جرس الباب. قطبت جبينها لأنها ظنت أنه أحد الجيران وليس لديها وقت للثرثرة. إن عليها أن تنظف غرف النوم ثم تستمر في فرز متعلقات خالتها التي قررت بأسف أنه يجب التخلص من أغلبها. عندما رأت سيمون يقف على عتبة الباب سحقتها المفاجأة. إلى جانب أن آلين توقعت أنه إذا كان ينوي الحضور فسيكتب لها جواباً يبلغها بذلك وبميعاد وصوله. من حسن الحظ أن اليوم هو الاربعاء.

أبتسم سيمون لنظرات الدهشة التي اعترتها وقال بلهجة تختلف تماماً عما توقعته:

«ليس غريباً أن تندهشي يا آلين، ألا تدعوني للدخول؟»

«بالطبع».

أجابت وهي مازالت مذهولة من حضوره السريع غير المفهوم. وفتحت الباب أكثر ووقفت جانباً ليستطيع الدخول. لفزعها وجدت نفسها ترتعش بسبب عدم الاستعداد لهذه الزيارة. وليس لديها أية فكرة الآن كيف تبدأ.

«تفضل».

أشارت اليه ليجلس على الأريكة فسار إليها وبنظرة واحدة ألم بكل ما في الغرفة، السجادة القديمة والستائر الباهتة والأثاث الفيكتوري الثقيل البشع. جلس وهو ينظر إلى صورة معلقة فوق رأس آلين لوالدي الخالة سو وابنتهما الصغرى التي ماتت قبل أن تصل للعشرين.

«هل تحب فنجاناً من الشاي؟»

فجأة شعرت آلين بعدم مناسبة الظروف لما تريده وتحيّرت كيف ستأخذ أول خطوة لتطلب النقود بالتهديد لأن هذا هو ما كانت تسعى إليه بالتحديد. قالت:

«لا أظن أنك تناولت طعام الغداء؟»

فكرت في شطائرالبولوبيففي المطبخ التي لن تعجبه كثيراً. قال وهو يبتسم:

«تناولت شيئاً في الطريق من المطار».

ثم استراح في جلسته ووضع ساقاً على ساق. جلست آلين على حافة الكرسي ووضعت يديها في حجرها. قطب سيمون ونظر إليها جيداً ثم قال:

«ألن تسأليني لماذا أنا هنا؟»

جفلت ثم أجابت عندما تمالكت نفسها:

«إني أعلم لماذا أنت هنا».

ماذا يعني بسؤاله هذا؟ قال باستغراب:

«تعلمين؟ هل كنت تتوقعين حضوري؟»

«لم أكن متأكدة تماماً ولكني فكرت أنك قد تحضر. أما ما يحيرني فهو كيف

استطعت أن تحضر بهذه السرعة».

«بسرعة؟»

تنبه وضاقت عيناه وظهرت التجاعيد على جبهته كما لو كان هو أيضاً متحيراً.

«لقد أرسلت الرسالة بعد ظهر يوم الأحد. لذلك من الطبيعي أن...أندهش أنك استطعت أن تصل اليوم. وعلى كل لقد توقعت أن ترد عليّ وتخبرني بميعاد وصولك».

سكتت قليلاً وهي تتساءل إذا كان الوقت مناسباً لأن تواصل كلامها وتقول ما تريد وتنتهي. كان سيمون قد اقترب منها وأخذ ينظر إليها بتعبير غريب جداً وبشيء من الادراك.

أضافت محاولة كسب الوقت لتعطي نفسها لحظات أكثر للتفكير في كيفية بدء كلامها:

«إني أعرف أن البريد الجوي سريع هذه الأيام ولكن بالتأكيد لا يمكن أن تصلك الرسالة قبل هذا الصباح».

تردد قليلاً ثم قال بنبرة غريبة:

«كنت محظوظاً في الحصول على مكان بالطائرة. إن الطائرات أيضاً سريعة هذه الأيام. بالنسبة لرسالتك يا آلين...ماذا كنت تقصدين بالضبط؟»

ابتلعت ريقها بصعوبة. يبدو أنه لم يقرأ بين السطور وإلا لما تصرف بهذه الطريقة الودية. بدا الأمر أصعب الآن وتمنت بحرارة لو أن لهجتها في الرسالة كانت أشد، مما كان سيعفيها من هذا الحرج.

«لقد...قلت لي إني إذا احتجت إلى معونة في أي وقت أتصل بك. هل تذكر؟»

هز رأسه بتفكير.

«بالتأكيد...ولكن هذه الرسالة أخبرني ماذا كنت تقصدين».

«حسناً...»

سكتت وسعلت بعصبية.

«كما ذكرت، لقد ماتت خالتي وعليّ أن أترك هذا المنزل. وقد لا تعرف الوضع هنا ولكن لا توجد منازل للايجار. يجب أن تُشترى. لقد وصلني إنذار من المالك لأترك المنزل خلال شهر، وكانت خالتي قد استأجرت هذا المنزل من سنوات عديدة مضت عندما كان الايجار ممكناً».

أضافت ذلك شارحة عندما رأت الاستغراب في عينيه.

«يجب أن أشتري منزلاً و...»

مرة أخرى توقفت وهي تتمنى من كل قلبها لو كانت قد أخطرت بهذه الزيارة. لم تتوقع أبداً أن تفاجأ بها.

أخيراً استطاعت أن تكمل:

«يجب...يجب أن أحصل على منزل آخر».

تمتم وقد اتسعت عيناه:

«منزل آخر...هل تقترحين أن أقدم النقود لمنزل آخر؟»

كانت لهجته غريبة جداً. هل كانت تتخيل أم أن هناك بعض خيبة أمل في طريقته.

مرة أخرى سعلت بعصبية. ولكن عندما تذكرت كيف ستكون حياتها لو أخفقت في استغلال هذه الفرصة. جمعت آلين شجاعتها بما فيه الكفاية لتقول أن هذا بالضبط هو ما تقصده.

«إني أشعر أني أستحق تعويضاً مجزياً لما قاسيته على يديك».

مال سيمون إلى الخلف ووضع يده في جيبه ونظر إلى آلين بتمعن. فكرت كم هو مرعب الآن وطلبت من الله أن يعطيها القوة لتستمر في مهمتها. سألها بصوت خفيض:

«هل تهددينني بشكل ما؟»

فجأة شعرت بالغضب. إنه يتخذ موقفاً متعالياً وهي ترفضه. ماذا يمثل منزل بالنسبة إلى رجل غني مثله؟ قررت أنه يجب أن يدفع ليس فقط لما فعله لها. ولكن

أيضاً لما فعله كيت. يجب أن تفكر في مستقبلها وفي مستقبل جنكس أيضاً مصممة على محاولة الحصول على هذه النقود التي ستريحها من القلق على المستقبل. فلو حصلت على منزل لن تدفع الايجار وستستطيع أن تدبر أمورها بعمل نصف الوقت حتى تكبر جنكس وتستغني عن وجودها عند عودتها من المدرسة...ردت على سؤاله:

«نعم إنه تهديد. إني أخبرك بما أحتاجه وهو نقود لشراء منزل».

كانت ستذكر جنكس ولكنها توقفت قبل أن تفعل. لم يكن هناك سبب واضح لهذا التردد ولكنها شعرت بعدم رغبة في أن تخبره بوجود الطفلة.

«لا بد أنك تريد أن تعوضني وإلاّ ما كنت حضرت إلى هنا».

تلا هذه الكلمات الأخيرة صمت غريب جداً. ومرة أخرى شعرت أنه أصيب بخيبة أمل بشكل ما، ولكنها لم تستطع أن تفهم لماذا ولم يكن لديها رغبة لأن تعرف. كل ما تريده هو تسوية ثم يرحل. لأنه برغم أن رغبتها في الانتقام كانت تملأ تفكيرها إلاّ أنها لم تطرد كل شيء آخر. لقد كان حبها له عميقاً لا يسهل التخلص منه بسرعة. إنها ستتغلب عليه مع الزمن، أو هذا ما كانت تأمله. ولكن الآن كان هذا الحب مازال يؤلمها ويثقل قلبها.

«هذا صحيح. لقد قصدت أن أصحح خطأي...»

كان يتكلّم بصوت منخفض كما لو كان يكلم نفسه. ثم سمعته يتنهد مما أزعجها لأنه لم يكن هذا من طبيعته. استمر بعد صمت طويل:

«نعم...أظن أنه يمكن تسميته تعويضاً ومع ذلك...»

نظر إليها فرأت في عينيه نظرة قاسية:

«...من الواضح أنك تريدين بضعة آلاف من الجنيهات...هل هذا ما تسألين؟»

كان صوته حاداً ولأن آلين اعتقدت أنه يفكر في مبلغ أقل كثيراً لذلك قالت بحدة:

«إني لا أسأل...إني أطلب وأنا أنوي الحصول على تعويض لما قاسيته».

«أنا لا أرى كيف تطلقين هذا الوصف على ما حدث».

«لقد ذعرت وأهنت وفسدت كل إجازتي».

«كل إجازتك؟»

كرر ذلك وهو يراقبها بدقة. فتنهدت تنهيدة صغيرة أشبه بالبكاء، وغاصت عيناها للذكرى المؤثرة لتلك الفترة القصيرة من السعادة، السعادة التي لن تجربها ثانية مع أي رجل لأنها شعرت أنها لن تتأثر بأي رجل كما تأثرت بسيمون في تلك الأيام الجميلة على ظهر الباخرة كاسيليا. قالت كاذبة:

«نعم، كل أجازتي...»

«آه... لقد فهمت».

شعرت آلين بشكل ما، أن كلماتها جعلته يتردد بطريقة لم تكن موجودة من قبل. وضاقت عيناه الغامقتان وهو ينظر في عينيها والتوى فكه فجأة، سألها:

«بماذا بالضبط تهددينني؟»

كان يريد أن يعرف. كان صوته هادئاً وبلا أي قلق ولكن طريقته كانت تنم عن الخطورة. وتذكرت أنه كريتي ولذلك فهو بلا خوف ولا رحمة.

«المحكمة».

استطاعت أن تقول ذلك وعجبت لأن لهجتها كانت حازمة وثابتة. كانت تبدو تماماً مثل استيل في هذه الظروف، واثقة من نفسها وقد حسبت كل شيء.

«أظن أنك تتمتع بنوع من الاحترام بين أصدقائك وزملائك في العمل، وأنك لا تريد أن تفقد هذا الاحترام أليس كذلك؟»

«بالطبع لا...»

واتسعت عيناه قليلاً وبدا أنه استنتج شيئاً ما. لم يتركها طويلاً في شك حول هذا الموضوع إذ قال:

«هل هي شقيقتك التي أوعزت إليك بذلك؟»

نظرت إليه بانزعاج. ابتسم ابتسامة صغيرة وهز رأسه كما لو كان يعرف كل

شيء وأن سؤاله لم يكن ضرورياً.

«إني أعترف أننا تناقشنا في الموضوع. ولكن القرار بأن أحصل على تعويض منك كان قراري أنا».

«هل كان كذلك؟ هل أنت متأكدة؟»

«بالطبع. لقد عانيت بسببك وأنا مصممة أن تعوضني».

«إذن فأنت لست أحسن كثيراً من استيل؟»

كان صوته غريباً وكان يراقبها بانتباه. وزادت ابتسامته عندما هزت رأسها. كانت حركة لا إرادية تعني احتجاجاً واضحاً بلا تفكير. تضايقت آلين وقد أدهشتها الطريقة التي تصرف بها سيمون كما لو كان الموضوع كله نكتة كبيرة مسلية. توقعت الغضب والازدراء والتعالي ولكن هذه الحالة من الاتزان الساخر كانت محبطة أكثر كثيراً من أي ثورة غضب. وبالتأكيد فإن هذه المقابلة لم تسر في الطريق الذي كانت قد رسمته لها. لاحظت تعبير الاصرار على وجهه فأعدت نفسها لرفضه الصريح أخذ تهديداتها في الاعتبار. وكان عليها أن تعترف، بعد بعض التفكير، أن وضعها ضعيف. فهي تعرف كيف تقاضيه. إنها ستحتاج لمحامي وهي لا تملك النقود لذلك. سألها بهدوء.

«أخبريني يا آلين، ما المبلغ الذي تفكرين فيه؟»

نظرت إليه بشك وهي تتساءل إذا كان يتسلىّ على حسابها بلعبة القط والفأر. رفعت رأسها ولمعت عيناها ومرة أخرى استعملت لهجة الابتزاز على طريقة شقيقتها فقالت:

«إن الأمر متروك لك لتقدم عرضك. إنك تعرف أكثر مني كم تساوي سمعتك».

فارتعشت شفتاه وانتظرت ما سيقوله بشيء من الدهشة. لم تكن تعلم أن دهشتهاستتحول إلى ذهول صاعق في اللحظة التالية:

«عرض...آه؟ إن عرضي هو الزواج».

«الزوا...»

حملقت فيه وقد فغرت فاها. ثم قالت بخشونة بعد أن تمالكت نفسها:

«هل هذا مزاح؟»

الزواج... بسيمون. كم كانت ستسعد بذلك من فترة قصيرة مضت.

«مزاحك ثقيل يا سيد سيمون. لقد طلبت منك أن تقدم لي عرضاً، فإذا كان يناسبني سنتفق وننهي مهمتنا بدون إضاعة أكثر لوقتك...»

سكتت عن الكلام لأن ابتسامته ازدادت عمقاً. علق على طريقتها الرسمية في الكلام قبل أن يكرر قوله وقد خفت لهجته الباردة مع نظرته.

«إني لا أمزح بخصوص أمر جاد مثل الزواج. إن هذا عرضي. أما الابتزاز فأنا لا أقبله بأي شكل وأنا لا أعتقد أنك كنت تنوين تنفيذ هذا التهديد على كل حال. حتى شقيقتك الماهرة كانت ستجد صعوبات في تنفيذ ذلك لأن رفع دعوى ليست أمراً سهلاً إذا كان الأشخاص يعيشون في بلدان مختلفة. كما أن أية محاولة للانتقام مكلفة جداً وأنت لست في وضع يسمح لك بذلك».

ابتسم ثم استطرد:

«إن هذه الصعوبات التي تمرين بها ستنتهي بمجرد أن توافقي على الزواج بي...»

كان يتكلم بهدوء شديد وبدون إظهار أي عواطف فيما عداالتسلية في عينيه من ارتباكها.

هزت رأسها وهي مذهولة تماماً ومع ذلك عندما فحصت وجهه تأكدت بلا أدنى شك أنه جاد فيما يقوله وأنه فعلاً يريد الزواج منها. قالت متلعثمة وقد نسيت دورها الذي كانت تمثله تماماً.

«إني لا أعرف ماذا أقول... لا يبدو أنه يوجد أي شيء بيننا... أقصد أي حب».

بعد أن نطقت بهذه الكلمات أدركت أنها كانت تستجديه ليقول أية كلمة تكذب ذلك. كم هي بلهاء. إنها تأمل في معجزة. أيا كان سبب رغبته في الزواج بها فهو ليس الحب. إن اهتمامه بها على الباخرة وغزله الرقيق وكرمه الزائد، كل هذا كان مقصوداً به إغراء استيل الفتاة التى أهانت ابن أخيه وجلبت العار

لعائلته. أما آلين مارسلاند فلم تكن تعني شيئاً بالنسبة إليه...ومع ذلك كان يريد أن يتزوجها.

«لا يوجد حب؟»

نظر إليها نظرة غريبة. ثم قال بصراحة:

«ألم تقعي في حبي على الباخرة؟»

تجمدت آلين. كم هو مغرور. افترضت أن ثقته في نفسه تنبع من حقيقة أن معظم النساء يقعن في حبه. ولقد تبعت هي ببلاهة نفس الطريق ولكنها لا تنوي أن تخبره بذلك.

نظرت إليه بازدراء مفتعل وسرها أن تراه يحمر قليلاً من الغيظ ثم قالت:

«أقع في حبك؟ إني لاأقع في الحب بهذه السهولة».

برقت عيناه كنقطتي نار. من الواضح أنه استفز وبدا أنه سيرد عليها بتعليق آخر لاذع. ولكنه نفض عنه هذا الاغراء...وأخذ يحملق فيها متفحصاً ومحاولاً أن يقرأ في عينيها ما يكذب ما قالته. قابلت نظرته بثبات وقد طغت عليها رغبتها في الانتقام فغطت على أية عاطفة أخرى. وبدا على سيمون بعض التردد ولم تستطع آلين إلاّ أن تنتظر أن يتكلم لأنها لم تستطع أن تخمن سبب هذا التردد. تكلم متجاهلاً تعليقاتها عن الحب، وأخبر آلين أنه جاد تماماً فيما يتعلق برغبته في الزواج منها. وأنه يريد أن يتم الزواج على الفور لأن لديه عملاً في أثينا لا يستطيع تركه. كان رقيقاً ومقنعاً. وكان يبدو واثقاً من موافقتها.

«لماذا تريد أن تتزوجني؟»

ثم تذكرت اقتراحه على الباخرة فقالت بصوت بارد وحاد:

«أظن أنها الرغبة؟»

طرفت عيناه ثم قال:

«إنها سبب كاف كغيرها من الأسباب للزواج».

«هل هي كذلك؟»

ثم بشيء من الازدراء:

«إنك غير محتاج لأن تذهب إلى هذا الحد».

«لا؟ هل أنت مستعدة أن تصبحي خليلتي؟».

وثارت:

«بالتأكيد لا...إن ما قصدته هو أنك تستطيع الحصول على أي عدد من النساء بدون زواج».

فكرت أنه لا بد قد خالط عدداً كبيراً من النساء فعلاً. وتذكرت ما قالته استيل عنه أنه رجل يحب النساء.

«هل أعتبر هذا مدحاً؟ إذا كنت أستطيع الحصول على أي عدد من النساء إذن فمن الواضح أنه لا توجد واحدة بينهن تستحق الحصول عليها، اتفقنا؟»

«إذن يجب أن تحصل على واحدة...محترمة...هل هو كذلك؟»

«عندما أتزوج، نعم».

«ورغبتك في تدفعك للزواج؟»

كانت تتكلم هامسة لأن فكرة مذهلة خطرت لها. فكرة سترضيها، أي فرصة للانتقام...ولكنه عليه أن يقتلها بسببها...بحركة لا إرادية وضعت يدها على رقبتها كما لو كانت تشعر فعلاً بأصابعه الطويلة القوية تضغط عليها وتخنقها. نظر سيمون إليها متسائلاً ولكنها لم تستطع أن تمنع نفسها عن التفكير في رد فعله لو كان يقرأ أفكارها. بالتأكيد لن يبدو راضياً وواثقاً في نفسه إلى هذه الدرجة، قالت محاولة إبعاد الأفكار الملحة التي تدعوها لانتهاز هذه الفرصة للثأر التي يقدمها لها سيمون ببراءة:

«الزواج خطوة خطيرة. ولا أستطيع أن أتصوّر أي شخص يقدم عليه فقط لهذا السبب».

«لهذا السبب...»

كان يتكلم وهو غارق في أفكاره الخاصة:

«لقد قلت إنك لن تصبحي خليلتي لذلك فليس أمامي خيار. إني لم أرغب أية امرأة يا آلين كما رغبتك وقد أدركت ذلك على المركب. ولأني كنت أظن أنك استيل فقد تفاءلت وتصورت أنك ستكونين لي على الفور. ولا تستطيعين أن تتصوري دهشتي عندما رفضت. ولكن لأني كنت أعتقد أنك استيل فقد ظننت أنك تلعبين لعبة ماكرة ولذلك لم ألح. ولكني الآن أعرف كم أنت مختلفة عن استيل وقد حضرت إلى هنا لأسألك أن تتزوجيني».

قاطعته وقد فهمت فجأة:

«لتسألني أن أتزوجك؟ إذن فأنت لم تستلم رسالتي؟»

«لا، طرت إلى أثينا بالأمس ومن هناك طرت إلى انكلترا...ولم تكن رسالتك قد وصلتني عندما غادرت منزلي».

حاولت أن تفهم الوضع. كانت رغبته تتزايد منذ رحلت من كريت كما هو واضح، ولذلك قرر أن يأتي و يطلب منها الزواج. كما قالت منذ قليل فإن الزواج خطوة أخطر من أن تتخذ لهذا السب فقط. ماذا يحدث عندما تخبو رغبته؟ أحنت آلين رأسها لتخفي ابتسامتها. إن الرغبة ستخبو بالتأكيد بسرعة شديدة إذا ما نفذت الخطة التي تنمو في رأسها لدرجة أنها لا تترك مكاناً لأي شيء آخر. الرغبة...للحظة. كانت هذه الكلمة كالسيف الذي يخترق قلبها. لقد كانت غبية أن تحبه، ولكن كيف يمنع المرء نفسه من الحب؟ هل يقدر سيمون عمق هذه الاهانة؟ أو من الجائز أنه يشعر أنها ستكون سعيدة. دبّ الكره فيها كالنار المشتعلة التي لا يمكن التحكم فيها، واختلط بالحب كما حدث في مناسبة سابقة. ولكن في هذه المرة انتشر الكره لدرجة أن ضاع الحب وكان الرماد المتبقي هو الرغبة في الانتقام. إنها لا تريد شيئاً أكثر من أن تجرح سيمون كما جرحها. يجب أن يدفع الثمن غالياً لهذه الاهانة التي أضيفت على حسابه وعلى حساب كيت هيلاري الذي خدعها بقسوة عندما وعدها بالزواج ثم هرب مع أخرى وتركها تعتني بطفلته بلا معونة من أحد. الرجال...نظرت آلين إلى سيمون

فلحظت نظرته المثبتة عليها وابتسامته التي تدل على الثقة والطريقة التي كان يسترخي بها على الأريكة. إذن فهو يريد فتاة عفيفة عندما يتزوج؟ إنها شيء نادر في هذه الأيام. وهو بالذات الذي كانت له كثيرات ومن الجائز أن بعضهن كن عفيفات حتى عرفنه. اختلط اشمئزازها مع كراهيتها ولكنها حرصت على أن تخفيها عنه. إنها فرصة لا تعوض للانتقام. وأي صدمة ستكون...إنه يتوقع فتاة عذراء.

فكرت للحظة في رغبته فيها. ولكنها ستموت بسرعة شديدة عندما يخيب أمله فيها. بطريقة آلية شردت نظرتها إلى الصورة الصغيرة المثبتة في ركن به مجموعة من الصور. ذهبت ناحية الطاولة التي عليها الصورة والتي كانت وراء سيمون وسحبت الصورة الصغيرة وخبأتها تحت المفرش. قد يسأل عن الطفلة صاحبة الصورة، يجب أن تعلم جنكس أن تضيف اسم مارسلاند إلى اسمها. نعم إن هذا لا بد منه. ذهبت ناحية النافذة ونظرت منها. سمعت صوته اللطيف والواثق من نفسه. استدارت ناحيته وقد شحب لونها ولكنها تمالكت نفسها برغم أنها كانت داخلياً ترتجف لفكرة ما سيحدث حتماً. سيثور ثورة عارمة عندما يعلم أنها خدعته وبدلاً من أن يتزوج فتاة عذراء فقد ربط نفسه بواحدة لها ابنة من زواج سابق. أي عار ليوناني وبالأكثر لكريتي. لن يستطيع سيمون ديوريس أن يتحمل الصدمة. كان المنظر يتجسم في خيال آلين. رأت غضبه المخيف وعلمت أن هذه اللحظة ستكون اللحظة المرعبة في حياتها والتي لن تستطيع أن تنساها طوال العمر. ولكن بعد ذلك لن يضايقها زوجها برغبته لأنها ستنطفىء على الفور وسيذهب كل منهما في طريقه، هو يعود لنسائه «وهي ستعيش حياة هادئة في أحضان البذخ والترف. لقد نجحت الآن، نعم إنها مستعدة أن تكافح من أجل جنكس. ولكنها غير محتاجة لذلك الآن. كانت تأسف لشيء واحد وهو أن سيمون لن يهتم بالطفلة. كانت تشعر أنه لو أراد يستطيع أن يربيها بالطريقة التي تريدها.

«حسناً يا آلين، ما هو ردّك؟»

وقف واقترب منها وأمسك بيدها برقة. كما قد يفعل العاشق الحقيقي. حاولت أن تبعد الألم الذي في حلقها. وألاّ تفكر فيما كان يكون عليه الحال لو أنه وقع في حبها في الباخرة كما أحبته.

«هل ستتزوجينني وتعيشين معي في كريت؟»

كانت نبرات صوته رقيقة وحانية لدرجة أنها شعرت رغماً عنها بشك يتعدّى فهمها. من المؤكد أن الموقف كله كان غريباً للغاية وخاصة عرضه الزواج. تنهدت وفكرت أنها تشغل نفسها بالتوافه وأن الشيء الوحيد المهم هو أن تستغل هذا الحظ الذي هبط عليها بدون توقع.

نظرت إلى الساعة. إن جنكس ستصل بعد أقل من نصف ساعة. وإذا رأى الطفلة قبل الأوان فإن خطتها للانتقام ستفسد تماماً. عليها أن تحاول أن تجعله يغادر المكان خلال الربع ساعة القادمة.

«نعم... سأتزوجك».

قالت ذلك محاولة أن تبدو ساحرة في هدوء وتسليم. ولكنها كانت تتعجب لاستعداد سيمون أن ينسى أن موقفها من الزواج موقف مادي بحت. وأنها وافقت عليه فقط لتحصل على الراحة والكماليات التي يستطيع أن يوفرها لها بلا شك. إنه في الواقع يشتريها. نعم إنه ينظر إلى الأمر بهذا المفهوم.. وهو يعتقد أنه قد وجد صفقة رابحة...

٩ - أيتها الكلبة الصغيرة

نظرت جنكس إلى أسفل حيث تشير آلين، فبدت جزيرة كريت كجوهرة جميلة وسط بحر ايجة الهادىء.

سألت جنكس للمرة العشرين:

«هل تظنين أن والدي الجديد سيحبني؟»

وبدون أن تسمع الاجابة استمرت:

«لماذا لم تجعليني اشبينتك؟ لم أحب البقاء مع تلك السيدة خالتي استيل، ولو علمت أنك تتزوجين ما كنت مكثت معها. لماذا لم تجعليني اشبينتك؟»

«اسكتي يا حبيبتي».

همست آلين وهي تشعر بنظرات الركاب المجاورين لهما.

«لقد أخبرتك أنه لم يكن معي أية اشبينات...اجلسي واهدأي قليلاً سنصل بعد دقائق وستكون هناك سيارة جميلة في انتظارنا».

«سيارة...هل سيقودها والدي الجديد؟»

«لا...يا عزيزتي. إنه ليس في المنزل حالياً...كان عليه أن يرحل بسرعة بعد أن تزوجنا فقد كان لديه عمل هام ولهذا السبب لم تقابليه للآن».

وتنهدت آلين. شعرت بالارتياح في ذلك الوقت عندما أخبرها سيمون أنه يجب أن يكون في أثينا صباح اليوم التالي لزواجهما. وأرادها أن تترك عملها على الفور وتصاحبه لليونان ولكنها رفضت ترك عملها فجأة فتسبب في إرباك العمل لنقص الأيدي العاملة. في كل حال كان لديها الكثير مما يجب عمله في

المنزل قبل أن تتركه. لذلك سافر سيمون على مضض وترك عروسه بعد ساعات من الزواج على أن يتقابلا في كريت بعد بضعة أيام. كانت هذه المهلة القصيرة هدية من السماء لآلين لأن أعصابها كانت مشدودة لسرعة إتمام الزواج ولعلمها بالخطة التي وضعتها والتي بدأت تثقل عليها، لذلك شعرت أنها لن تستطيع مواجهة المشهد الذي يجب أن تمر به قبل بدء حياتها في المسار الهادىء الذي تخيلته. أما الآن، وقد اقتربت المواجهة، كانت أعصابها شديدة التوتر وخاصة أن جنكس ستكون موجودة في اللقاء بينها وبين سيمون عندما يعود من أثينا بعد ساعات من الآن متوقعاً أن يجد عروسه تنتظره...بمفردها.

«هل تظنين أن والدي الجديد سيجلسني على ركبتيه؟»

جلست جنكس بجانب آلين وهي تضم يديها بشدة ثم تفصلهما. لم تر آلين الطفلة منفعلة بهذه الدرجة من قبل. ولكن في الواقع لم يحدث أي شيء مثير لها سابقاً.

«لا أعرف يا حبيبتي... قد يفعل».

كانت آلين بشكل ما تتخيل أن سيمون لن يهمل الطفلة تماماً. إن لديه شيئاً من الرقة قد يحنو عليها لأن جنكس بلا شك طفلة محببة وقد كسبت حب كل المسافرين على الطائرة.

«إن الانتظار مزعج...متى سيعود إلينا؟»

إلينا...فجأة صعدت الدموع إلى عيني آلين، وبلا سبب تذكرت الكلمات التي همسها سيمون لها عندما وضع خاتم الزواج في أصبعها:

«أغابي مو ساغابو...»

وعندما سألته ماذا تعني ابتسم فقط. فقالت لنفسها فيما بعد أنها لا بدّ شيء يتعلق برغبته لأنها لا يمكن إلاّ أن تكون كذلك.

«حالاً يا عزيزتي. سيصل بعدما نصل بساعات. لأنه سيأتي على مركب مع بعض أصدقائه. وسيكون معنا في موعد الشاي».

«يجب أن أصبر..أليس كذلك؟»

لم تكن جنكس تستطيع البقاء هادئة، بل تريد القفز هنا وهناك كما تفعل عندما تريد التعبير عن مشاعرها.

«نعم يا عزيزتي...لفترة قصيرة فقط».

هبطت الطائرة وبعد قليل لمست أرض المطار. وكان السائق في انتظارها وقد نظر مرتين إلى الطفلة الصغيرة وهي تسير قفزاً بجانب آلين..ولكن صوته كان خالياً من التعبير عندما قال:

«مرحباً بك ثانية يا مدام ديوريس».

وأخذ متاعها في حقيبة السيارة.

وجلست جنكس في هدوء شديد في مقعدها وهي تنظر من النافذة وقد اصفر وجهها وأطبقت شفتيها:

«هل أنت بخير يا عزيزتي؟»

«نعم..ولكن الانتظار كريه...إني أشعر بألم كبير في معدتي ولكنه ليس ألماً سيئاً. إنه فقط لأني أريد أن أرى والدي الجديد».

عضت آلين على شفتها، عندما فكرت في خطتها للانتقام. لم تفكر كثيراً في عواطف جنكس. كان مستقبل الطفلة وراحتها من العوامل الهامة لآلين ولكنها أهملت الناحية النفسية للطفلة. ومع ذلك حتى لو أهمل سيمون الطفلة تماماً فإنها سرعان ما ستتغلَّب على ذلك. إن الأطفال يتغلَّبون على هذه الأشياء...وجدت نفسها تقول: كل الميزات المادية ستعوضها عن خيبة الأمل التي تشعر بها في البداية. إن ما يهم آلين هو كل مستقبلها وليس الأسبوع أو الأسبوعين القادمين. وصل سيمون قبل موعد الشاي مباشرة. كانت آلين قد أفرغت حقائبها ورتبت حاجياتها وحاجيات جنكس. وبالطبع لم تكن هناك غرفة مخصصة لجنكس...وفكرت آلين أن تنام الطفلة معها في البداية في السرير الكبير الذي في الغرفة والذي كان سيمون يتوقع أن يشاركها فيه. أما

فيما بعد عندما تتعرف على المنزل الكبير فإنها ستختار غرفة جميلة لجنكس وتؤثثها بالأثاث المناسب. لم تعلم آلين بوصول زوجها إلاَ عندما طرق باب غرفتها ودخل واستدارت بسرعة وبرغم أنها كانت قد أعدّت نفسها لهذه المحنة، إلاَ أنها شعرت بالدماء تهرب من وجهها. وفي لحظة رعب فكرت أن تخبر سيمون بالحقيقة بالنسبة لجنكس. ولكنها استجمعت قواها وتذكرت رغبتها بالانتقام وعلى الأخص فكرت أن سيمون عندما طلب أن يتزوجها، لم يكن ذلك إلاَ بسبب رغبته فيها. وهي لا تريد أن تكون ذلك النوع من الزوجات. إنها ليست استيل التي تقبل أن تبيع جسدها لكسب مادي.

«إذن فقد وصلت بالسلامة...»

توقف عن الكلام وحملق غير مصدق عندما خرجت الصغيرة من غرفة الملابس وذهبت نحوه:

«هل أنت والدي الجديد؟»

نظرت إلى أعلى إلى العملاق الذي يقف بجانبها وأضافت بسرعة:

«أمي لم تخبرني أنك وسيم أكثر من والد داريل الجديد...آوه...أظن أنك لطيف جداً».

صفقت يديها بسعادة وهي لا تعي الصدمة التي سببتها للرجل الذي أخذ يحملق طويلاً قبل أن ينقل نظرته إلى آلين...

«لماذا لم تقل لامي أن تجعلني اشبينتها؟ لم يكن من العدل أن أذهب إلى خالتي استيل بدلاً من الذهاب للعرس».

كان وجهها المليء بالنمش يبتسم بالسعادة. وبعد أن رددت شكواها بدأت تقفز على السجادة بينما وقف سيمون فنظر إليها من جديد وقد أذهلته المفاجأة وبدأ وجهه يسود بينما شحبت آلين حتى أصبح لون وجهها كلون البلوزة البيضاء التي تلبسها، وانقبض حلقها من شدة الخوف.

«ماذا يحدث هنا؟»

لم يستطع من هول المفاجأة أن يظهر غضبه على الفور لأنه لم يستطع أن يصدق عينيه.

«هذه الطفلة، هل هي طفلتك؟»

فنطقت بصعوبة:

«نعم...إنها ابنتي».

تدخلت الطفلة بذكاء وهي مازالت تقفز إلى أعلى وأسفل برغم أن آلين أشارت لها أن تهدأ.

«اسمي جنكس، جنكس هيلاري».

«هيلاري؟»

قال سيمون بحدّة، فأشارت آلين للطفلة إشارة غير ظاهرة فأكملت بنفس اللهجة:

«...مارسلاند...جنكس هيلاري مارسلاند».

ثم نظرت إليه وابتسمت بسعادة:

«أمي قالت لي أن أضيف...»

«اسكتي يا حبيبتي وقفي هادئة».

نفذت جنكس الأمر وضغطت يديها معاً على صدرها كما كانت تفعل عندما تتأثر. من الواضح أنها أعجبت بوالدها بينما ظهر عليه تعبير شيطاني لدرجة أن آلين لم تحتمل مجرد النظر إليه...إنها لم تكن تريد أن تحضر جنكس المواجهة ولكنها الآن تشعر بالامتنان الشديد لوجودها. إن زوجها لن يقتلها أبداً أمام الطفلة. حدث صمت مخيف في الغرفة. وكشف لون خدي سيمون الغامق عن الغضب الذي يعتمل فيه وحتى جنكس بدت متأثرة بهذا الجو لأنها عبست بشدة ونظرت من سيمون إلى آلين ثم العكس.

«إني لا أصدق ذلك...لا يمكن أن تكون ابنتك...»

ولكن فمه انحسر عن أسنانه وكان الغضب يغلي في عينيه.

«ابنتك!»

اتسعت فتحتا أنفه واقترب خطوة من آلين التي تراجعت ناحية النافذة:

«قوليها مرة أخرى، قوليها...»

«جنكس ابنتي...»

كم بدت هادئة...لا بدّ أن الخوف قد جمدها.

«كنت في السابعة عشرة من عمري عندما ولدت...»

«أبوها؟»

«مات...»

استمرت تحكي قصتها التي كانت هذه المرة قد استعدّت لها جيداً. لقد خدع سيمون وبدلاً من الفتاة البكر التي أشتراها، ابتلى الآن بواحدة لها طفلة. قالت آلين إنها لم تتزوج والد جنكس ثم أوضحت له لماذا أبقت وجود الطفلة سراً.

«قلت لك إني سأرد لك ما فعلته بي إذا واتتني الفرصة. وهذه هي طريقتي في الانتقام. ولكنك تدفع أيضاً ثمن ما فعله بي والد جنكس. لقد وعد أن يتزوجني ثم هرب مع أخرى وترك لي جنكس...لقد خدعت يا سيمون رغم مهارتك...»

في لحظة أمسك ذراعيها بطريقة وحشية. صاحت:

«لا تفعل...إني...»

ثم سكتت وهي تجفل من الألم. كادت من شدة خوفها أن تخبره بالحقيقة. ولكنها استطاعت أن توقف نفسها في الوقت المناسب. لو أخبرته فلن تحظى بالرضى الذي كانت تريده. وأهم من ذلك، بالنسبة إلى فتاة في مثالية آلين، فإنها لن تستطيع أن تحول بين سيمون وبينها وبذلك ستصبح رفيقة فراشه. لا، كررت لنفسها. إنها ليست استيل ولذلك تحملت هذا المشهد العنيف بشجاعة وهي تعلم أنه لا بد سينتهي حالاً.

«خدعت، أليس كذلك؟»

شدّد قبضته عليها بلا رحمة:

«نعم إني أعترف بذلك. ولكن بحق السماء إنك ستندمين؟»

كان كالمتوحش وأخذ يهزها بعنف. ولكنه لم يحسب حساب جنكس التي ارتبكت ثم قفزت والدموع في عينيها إلى حيث وقف وأخذت تضربه بقدمها بشراسة على كاحليه. ثم أطبقت بيديها على سرواله وحاولت أن تعضه بأسنانها. وعندما لم تفلح صاحت:

«اترك والدتي... سأكسر رأسك إذا لم تفعل، اتركها إنك خنزير وأنا أكرهك...»

«جنكس... اسكتي...»

كان صوت آلين يرتعش وهي تقف هناك. بعد أن تركها، وحملقت في جنكس التي استمرت تضرب كاحلي سيمون الذي أمسك بها وجذبها بعيداً عنه. ولكنها استمرت تتعلق بسرواله:

«أيتها الكلبة الصغيرة...»

صاح فيها بعد أن أبعدها أخيراً عنه ولكنها استمرت تكافح بشجاعة وترفس بعنف ولكن في الهواء:

«إنها والدتي وسأدافع عنها. سأكسر...»

«هذا يكفي يا جنكس...»

كان صوت آلين لا يزيد عن الهمس وقد شعرت بخوف شديد وبقلبها يدق بعنف بين ضلوعها. ولكن الأمر سينتهي سريعاً. هذا المشهد متوقعاً وقد أعدت نفسها له. بعد خمس دقائق من الآن سيتركها سيمون هي و جنكس وسيذهب في طريقه.

«يجب ألا تقولي هذه الكلمات...»

سكتت وطفرت الدموع من عينيها عندما رأت ابنتها تبكي بطريقة يرثى لها وتنظر للرجل الذي كان يمسك بها بحزم ولكن ليس بالقسوة التي أمسك بها آلين.

«قالت أمي...إن لدي والداً جديداً...وأنه قد يجلسني على ركبته مثل والد

داريل الجديد...»

توقفت جنكس وقد خنقتها العبرات وسالت الدموع على خديها وكذلك

أمها. فأخذت تمسحها بيدها الصغيرة.

«كنت أظن أنك ستكون والداً لطيفاً لي».

ارتعش فمها وهزّت رأسها في حيرة ونظرت لآلين غير مصدقة:

«كنت أنتظر هذه اللحظة منذ أخبرتني والدتي عنك...كان

مريعاً...الانتظار...وكنت تبدو لطيفاً في البداية. ولكن لماذا كنت تهز والدتي؟ لقد

آلمتها...»

بدأت مرة أخرى تضرب بقدميها ولكنه لم يسمح لها بالاقتراب منه فقالت:

«سأقتلك على الفور إذا لمستها مرة أخرى...سأعض يديك...»

«جنكس...»

ولكن شيئاً آخر غير صوت آلين...فقد ضربها سيمون بقوة على رجلها ثم

تركها، فجلست على الأرض وأخذت تنظر إلى مكان الضربة الذي احمر على

الفور. أذهلتها هذه المعاملة التي لم تعتدها من قبل فرفعت رأسها ونظرت

لسيمون. وقالت وهي تغلي:

«هذا فقط لأنك أكبر مني، ولكن فقط انتظر عندما أكبر، عندما أكبر سأقتلك لأنك

تؤلم والدتي».

مسحت عينيها بظهر يديها ثم لعقت الدموع التي سالت على فمها.

«أمي...أمي...أنا لا أريد أن أبقى هنا...»

وقفت جنكس وذهبت إلى والدتها وتعلقت بثوبها:

«لنعد إلى بيتنا، أرجوك يا أمي، إني أريد أن أرجع إلى بيتي».

«لا نستطيع أن نفعل ذلك يا حبيبتي...»

واحتضنتها آلين بدون أن تجرؤ على النظر في عيني زوجها:

«إن هذا هو منزلنا الوحيد الآن و يجب أن نبقى هنا...»

«هل يجب أن نبقى؟»

رد سيمون بخشونة وقد اصفر وجهه وأخذ يقبض يديه و يفكهما كما لو كان يخرج الألم الذي لا يطاق بداخله:

«قد يكون هذا رأيك ولكنه ليس رأي...لن تبقي أنت ولا ابنتك المتوحشة في منزلي...ستذهبان بمجرد أن أرتب ذلك...»

ولكن بالطبع جاء هذا التهديد في حرارة الموقف ولم يحاول سيمون أن ينفذه. لقد تزوج وأصبح واضحاً بمرور الأيام أنه ينوي أن يتحمل غلطته. وكما توقعت آلين فقد ذهب في طريقه وتركها لحالها. وكان كثيراً ما يغيب عن المنزل أسبوعاً أو أكثر. كانت آلين تشعر بالهدوء في هذه الأوقات وتستمد سعادتها من جنكس التي سرعان ما نسيت المشهد الذي لم يكن بفضل تدخلها...مرعباً بالدرجة التي توقعتها آلين.

لم تكن آلين تحب أن تفكر فيما كان يمكن أن يفعله سيمون لو كانا بمفردهما...كان يمكن أن يقتلها. فقد خرجت في إحدى الأمسيات إلى الشرفة بعد أن وضعت جنكس في فراشها، ففزعت إذ وجدت زوجها يقف هناك وهو ينظر إلى القلعة المعتمة التي كان سيحبس فيها استيل وكان شكله الجانبي يبدو كشيطان. وعندما شعر بها استدار فوجدت وجهه كقناع من الكراهية مما جعل الدماء تتجمّد في عروق آلين. وعندما استدارت لتذهب استوقفها فاقتربت منه على مضض وأخذ قلبها يدق بعنف من الخوف.

عندما استطاع أخيراً أن يكلمها سألها سؤالاً لم تتوقعه:

«ما وضعك بالنسبة إلى النقود؟»

«مازال عندي القليل مما تبقى من بيع الأثاث».

ردّت متلعثمة وهي تسأل نفسها كيف ارتكبت هذا الخطأ بالخروج إلى هنا. كانت عادة تعرف أين يكون وقد اعتقدت أنه يعمل في مكتبه لأن النور كان

مضاء هناك.

«سأعطيك بعض النقود، سيحضر بعض الأصدقاء للعشاء بعد أسبوع من اليوم وستحتاجين لشوب، اذهبي إلى هيراقليون واشتريه من هناك...سيأخذك دندروس في السيارة».

صمت قليلاً ثم استمر بنفس اللهجة الخشنة:

«لقدأخبرت الجميع أنك أرملة فتذكري هذا، أما إذا خذلتني فستجدين نفسك تتضرعين من أجل الرحمة. إنك لم تري أسوأ ما عندي بعد».

«سأتذكر يا سيمون».

كانت تريد أن تتركه ولكنها خافت أن تفعل قبل أن يطلب هو منها ذلك.

«بالنسبة إلى ابنتك...هل رتبت لذهابها للمدرسة؟»

طرفت عيناها مندهشة لهذا الاهتمام المفاجىء بالطفلة التي كان قد أهملها حتى الآن كما أهمل الفتاة التي اعتقد أنها أمها.

«لم أفعل حتى الآن...أقوم بتعليمها بنفسي».

«هناك مدرسة في سفاكيا. يستحسن أن تأخذيها هناك لتبدأ الدراسة. سيأخذها دندروس كل صباح و يعيدها».

«هل هي مدرسة يونانية؟»

«بالطبع ولكنهم يعلمون الانكليزية».

«وكيف ستتصرف. إنها لا تتكلم اليونانية على الاطلاق؟»

«لا أتوقع أنها تفعل».

ثم قال بشيء من السخرية:

«ولكنها ستتعلم سريعاً».

نظر سيمون إليها مباشرة:

«إذا كنت ستبقين هنا أنت وهي فإنها يجب على الأقل أن تتعلّم اليونانية. عندما تكبر ستخطلط بيونانيين وسيكون أصدقاؤها يونانيين».

«نعم أظن ذلك».

فكرت وهي تقف هناك مترددة في تركه... إن سيمون يبدو أقل عداء. كان ينظر مرة أخرى ناحية القلعة والهواء يتخلل شعره الأسود وضوء القمر يسقط على وجهه مما أضاف خشونة إلى ملامحه... ومع ذلك فإن الانطباع الغريب الذي شعرت به آلين هو أن هناك حزناً في ملامحه. حزناً وشعوراً غريباً بالوحدة. استمرت تنظر إليه شاعرة لأول مرة بالأسف لأنها أصرت على الانتقام ورد الكيل له ليس فقط لخطئه ولكن أيضاً لخطأ كيت. ما نتيجة ما فعلته وما الذي حققته بتصرفها هذا؟ صحيح أنها تأخذ كل شيء ولا تعطي شيئاً... وأنها حصلت على الرجل الغني الذي كثيراً ما كانت تمزح مع خالتها عنه... ولكن بشكل ما فقد أصبحت القصة كلها ذات طعم مرير بالنسبة إليها وهي لا تجرؤ أن تسأل نفسها عن السبب.

في يوم حفل العشاء كانت جنكس مزعجة بشكل خاص وكثيرة الحركة كالمعتاد، وعندما كانت تقفز على السلم انزلقت على الأرض في الصالة وارتطمت بالباب الأمامي. سمعت آلين صراخها فجرت إليها من غرفة الاستقبال حيث كانت تتصفح إحدى المجلات فوجدتها تنزف من رأسها ومن أنفها وكانت تمسك مرفقها بيدها.

«جنكس يا حبيبتي ماذا فعلت؟»

انحنت آلين عليها ورفعتها بين ذراعيها وحملتها إلى غرفة النوم ووضعتها على السرير.

«أيتها الطفلة البلهاء، كيف فعلت هذا بنفسك».

«كنت أتزحلق على الحصير».

واستطردت جنكس وهي تبكي:

«أوه... إن ذراعي تؤلمني... إنها تحرقني...»

وصرخت من الألم:

«لماذا تحرقني؟»

«لأنك جعلتها تحتك بالأرض»

وتنهدت آلين ودخلت الحمام حيث يوجد صندوق للاسعافات في الخزانة وبعد أن غسلتها وضمدتها أعطتها دواء خفيفاً لتستريح بعض الوقت...استيقظت جنكس في موعد الشاي وقالت وهي تبتسم إنها جائعة. كانت آلين تجلس بجانبها وهي تقرأ، وسرها أن تجد جنكس لا تعاني كثيراً من ارتطامها بالباب.

«ماذا سأفعل بك؟»

سألت وهي تهز رأسها بحزن:

«هل تعلمين يا عزيزتي أنك يجب أن تحسني تصرفاتك بالنسبة إلى الطريقة التي تتكلمين بها...إنك لا تفعلين ما أقوله لك...كل هذه اللغة السوقية التي تعلمتها في المدرسة في انكلترا يجب أن تنسيها تماماً. هل تفهمين؟»

«إني أحاول يا أماه ألاّ أقولها...ولكنها تخرج رغماً عني».

كانت عيناها تبرقان بالشقاوة والضحك ولكن عندما لحظت التعبير الحزين على وجه آلين تحركت إلى طرف السرير ووضعت ذراعيها حول رقبة آلين:

«هل أقبلك يا أمي؟ إن فمي نظيف..انظري...»

قبلت آلين خدها واحتضنتها بقوة...كان من الغريب أن تحب إلى هذه الدرجة طفلة شخص آخر، ولكن منذ أن وضعت آلين عينيها عليها شعرت أنها تحبها.

«تعالي...قلت إنك جائعة وقد حل موعد الشاي..وسنتناوله معاً في الفناء في الشمس».

«حسناً...»

قامت جنكس من السرير وهي تنظر إلى ذراعها الملفوفة بالضمادات. ثم نظرت لنفسها في المرآة لترى جبهتها وعليها الشريط اللاصق:

«أبدو كجندي جريح...أليس كذلك؟»

«نعم...من الأفضل أن ألبسك ملابسك».

«من أجل ذراعي المضمدة؟ لا...إنها على ما يرام ذن بيرازي».

ذهبت إلى الكرسي حيث كانت ملابسها موضوعة وأخذتها ووضعتها على السرير. وحملقت آلين فيها ثم قالت:

«ماذا يعني ذلك؟»

«ذن بيرازي؟ إنها تعني باليونانية، على ما يرام. إنه لا يهم».

«هل تعلمت ذلك في المدرسة؟»

«أظن ذلك...لقد قالها لي كارلوس لوكيا إنه صديقي في المدرسة إننا لم نتشاجر بعد، لأنه لا يحب الشجار...ولكن اندونيز يحب الشجار...لكمته بشدة بالأمس لأنه ضحك مني في الفصل عندما لم أفهم المدرّسة. أراهن أنه لن يضحك مني مرة ثانية لأنه بكى بشدة عندما لكمته».

وقالت آلين بحزم:

«يا جنكس...إذا حضر أحد هنا ليشكو منك فسأغضب منك جداً. ووالدك لن يحب ذلك. إنك تعرفين هذا جيداً. لذلك امتنعي عن الشجار مع الأولاد الصغار».

«إنه ليس والدي، أنا لا أحبه وهو لا يحبني».

فجأة وبلا توقع بدأت جنكس تبكي. ولم تعرف آلين إلاّ بعدما تكلمت الطفلة أنها كانت قلقة بشأن علاقتها مع سيمون.

«لماذا لا يحبني يا أماه؟ أنا لم أكن مزعجة إلاّ عندما ضربته حين آلمك. عندما حضرنا إلى هنا ظننت أنه سيكون لي والد. ولكن ليس لي والد. إنه لا يجلسني أبداً على ركبته ولا يأخذني للنزهة مثل والد داريل. إنه ليس كما كنت أظن. قلت لك اني سأكون عاقلة من أجل والدي...أليس كذلك؟»

«نعم يا حبيبتي، لقد قلت لي».

ابتلعت آلين ريقها بصعوبة. هل تخبر سيمون بالحقيقة وتضع حداً لهذا

الوضع الذي أصبح غير محتمل إلى الجميع؟ إذا أخبرته بالحقيقة فيجب أن تكون مستعدة لأن يعاشرها كزوجة لأن هذا هو ما سيحدث حتماً. إنها لا تستطيع أن تكون ذلك النوع من الزوجات وهي لا تحبه. إنها ستضطر أن تعطيه كل شيء لأنها لن تستطيع أن تقاوم...ومن الناحية الأخرى سيأخذ هو كل شيء ولن يستطيع أن يعطيها شيئاً لأن كل ما يشعر به نحوها هو رغبته في جسدها. إنه لا يشعر نحوها بأي حب أو عاطفة...وهي العناصر التي لا يمكن بدونها أن تكتمل هذه العلاقة. لا...فقررت آلين أنها لا تستطيع أن تخبر سيمون بالحقيقة وتدخل في هذه العلاقة. إما أن تكون علاقة مكتملة أو لا تكون هناك علاقة على الاطلاق.

«لقد أخبرني دندروس أن...أن السيد سيمون يمتلك مركباً جميلاً ولكنه لا يأخذني أنا وأنت على هذا المركب. وأنا أحب أن أركب مركباً، لأني لم أركب مركباً ولا مرة في حياتي...»

ومسحت جنكس خدها المبتل بيدها:

«آه...إني أحتاج لمنديل».

أحضرت لها آلين منديلاً فمخطت أنفها بصوت عال.

«لا تسميه السيد سيمون يا حبيبتي، حاولي أن تفكري فيه كوالدك...»

هزت جنكس رأسها:

«إنه لا يريد أن يكون والدي، أتمنى لو أنك لم تتزوجيه. كان يمكنك أن تتزوجي شخصاً آخر يحبني ويقذف بي في الهواء وأشياء أخرى».

وبدأت تبكي مرة أخرى:

«ألا يمكنك أن تتركيه وتتزوجي شخصاً آخر؟»

هزت آلين رأسها بالنفي. ولم تستطع الكلام لمدة طويلة:

«لا يا حبيبتي...هذا مستحيل، إن هذا بيتنا ويجب أن نبقى فيه. ليس لنا مكان نذهب إليه».

شعرت آلين أنها أفسدت حياتها تماماً باتباع تلك الرغبة الجنونية في الانتقام. ومع ذلك هل كانت تستطيع أن ترفض عرض سيمون حتى لو لم تكن تريد الانتقام؟ لم يكن أمامها إلاّ أن تقبل عرضه. كان نجدة من السماء في ذلك الوقت. وآلين لا تجرؤ على التفكير فيما كان سيؤول إليه مصيرها هي وجنكس لو رفضت عرض سيمون. كانت ستضطر لتقديم طلب للحصول على أية معونة وكان سيُعرف أن جنكس ليست ابنتها وكانت ستؤخذ منها.

«هل تظنين أنه قد يحبني عندما أكبر قليلاً؟»

سألت جنكس بأمل:

«من الجائز أنه لا يحب الفتيات الصغيرات ولكنه يحبهن عندما يكبرن قليلاً».

«أنا متأكدة أنه سيحبك... قريباً».

وتنهدت آلين بعمق وهي تقول ذلك. هل سيعتاد سيمون جنكس في أي وقت؟ ظنت أنه سيبدأ في الاهتمام بالطفلة بعد فترة. ولكن حتى الآن لم يبد أي اهتمام بها فيما عدا اقتراحه بأن تذهب للمدرسة.

«أظن أني سأبتسم له وسأرى إذا كان سيبتسم لي».

ثم همست جنكس وهي تفكر:

«هل تظنين أنه سيأخذني أنا وأنت على المركب إذا طلبت منه ذلك بأدب؟ نستطيع أن نذهب بعيداً لجزيرة أخرى. أليس كذلك؟»

«نعم نستطيع يا جنكس. ولكن يجب ألا تطلبي منه أن يأخذك على المركب. إنه مشغول جداً وليس لديه وقت كبير».

كانت آلين لا تستطيع أن تحتمل أن تطلب جنكس منه شيئاً ويرفضه تنهدت جنكس وقالت:

«كنت أتمنى أن تتزوجي رجلاً آخر. مثل والد داريل».

ثم توقفت فجأة وقفزت محاولة إمساك شيء في الهواء:

«إنها بعوضة. هي هناك على الحائط. اقتليها».

«لا أستطيع أن أقتلها على الحائط».

«لم لا؟»

لمعت عينا جنكس:

«اقتليها يا أمي».

أحضرت آلين منشفة من الحمام وألقتها على البعوضة وأمسكت بها ولكنها لم تستطع قتلها بل أخذت المنشفة ونفضتها من النافذة. وقع نظرها إلى أسفل فرأت سيمون يقف هناك في الشرفة تحت النافذة مباشرة واضعاً يديه في جيبه، كان ينظر إلى الشاطىء، حيث اليخت الرشيق يقف هناك على سطح الماء. اليخت الذي لعب دوراً هاماً في حياتها وفي حياته هو أيضاً. لو لم يأخذها على ذلك اليخت لما تزوجا أبداً لأنهما كانا سيودعان بعضهما في ميناء ماندراكي المليء بالزهور في رودوس ونظرت مرة أخرى للرجل الذي يقف في الشرفة. منذ متى يقف صامتاً ووحيداً؟ شعرت بالألم في قلبها لأنها كانت تعلم أنه مكتئب وغير سعيد.

١٠ - يا حبيبي أحبك

عندما خرجت آلين من غرفتها كان سيمون أيضاً يخرج من غرفته فتقابلا في الممر. ألقى نظرة عليها ثم استقر نظره على وجهها. حملت نظرته كل الازدراء ولكن لم تخلو أيضاً من مسحة حزن كانت واضحة الآن في ضوء المصابيح، وكذلك الشعور بالوحدة. يا للغرابة... من الجائز أن فترات تغيّبه عن المنزل لم يكن يقضيها مع النساء كما ظنت. قالت استيل عندما علمت بفكرة الزواج ان آلين نجحت في تدبير أمورها جيداً وإن كانت استيل لا تحبذ فكرة الزواج لأنها مقيدة للحرية، إلى جانب أن أغلب الزيجات تفشل هذه الأيام. فكرت آلين وهما ينظران كل منهما للآخر في الممر، من الجائز أنه مشغول في مسائل خاصة بعمله فقط... ومع ذلك فهي لا تتصوره يعيش حياة خالية من النساء. ألم يلمح الرجل على ظهر اليخت أن له مغامرات نسائية كثيرة؟ ثم تتكلم... فقطع عليها تفكيرها قائلاً بخشونة:

«لا تنسي ما قلته لك عن كونك أرملة».

«لن أنسى».

وبفيض من المشاعر التي كانت خليطاً من الحنان والندم كادت تبوح بالحقيقة. فهي في الآونة الأخيرة فكرت كثيراً في ظروف حضوره إلى انكلترا ليعرض عليها الزواج، ووصلت إلى الاعتقاد المحير وهو أن هذا التصرف يعني أكثر كثيراً عما يبدو في ظاهره. ولكن كان يمنعها من هذا التفكير اعترافه الصريح بأن رغبته فيها كانت السبب الوحيد وراء طلبه الزواج منها.

جاء ردّه الحاد فأضاع فرصتها للاعتراف:

«يحسن ألاّ تفعلي. فإذا خذلتني فسوف تندمين على ذلك، سبق أن حذرتك».

واحمرّ وجهها من طريقته العدائية، فقالت بطريقة وقورة ضايقته لسبب ما:

«هل ننزل؟ إن جنكس لم تنم بعد وقد تسمعنا».

ولدى ذكر اسم الطفلة رقّ قليلاً وسأل عنها. فأخبرته بوقوعها وإصابتها ولكنها لم تذكر السبب. فأراد أن يعرف كيف وقعت بالضبط فلم تستطع إلاّ أن تخبره. قطب جبينه ونظر إليها طويلاً ثم أخبرها صراحة أنها لا تعرف كيف تربي الطفلة. احمرّ وجهها من هذا النقد ولكنها في الوقت نفسه شعرت بشيء من الراحة لأنه قد لاحظ جنكس وفهم شخصيتها...من الجائز أنه سيهتم بها ويحاول تهذيبها قليلاً. لو فعل فستشعر ألين بأن حملاً كبيراً زال عن كاهلها، لأنها كانت تريد لجنكس أن تنشأ نشأة سليمة حتى يحبها الناس دائماً. إنهم بالطبع يحبونها الآن لأنها طفلة، ولكن إذا ما كبرت بنفس الطباع فلن يتحملها أحد.

«أنا أدرك تماماً أني لست حازمة معها بما فيـ[illegible]يه».

واعترفت ألين بذلك متابعة:

«كانت الخالة سو تقول ذلك دائماً. ولكن جنكس تحتاج إلى الرجل في تربيتها».

توقفت عن الكلام، لم تكن تقصد أن تقول ذلك...ليس لسيمون...لاحظ سيمون تغير لونها ولكنه لم يعلق على كلامها. سألها:

«ما هي إصابتها؟ هل هي كبيرة؟»

«جرحت في رأسها، ونزفت من أنفها، كما أن ذراعها انسلخت من الاحتكاك».

لدهشتها بدا عليه الضيق وهي تصف جروح جنكس. ومرة أخرى هزّ رأسه غير موافق على طريقتها في تربية الطفلة مما جعلها تحمر أكثر.

«يجب أن تكبح».

صدرت عنه تنهيدة صغيرة ملأتها بالدهشة، فنظرت إلى وجهه محاولة أن تقرأ

تعبيره. من الواضح أنه كان يراقب جنكس منذ فترة ولم يكن متجاهلاً لها تماماً كما اعتقدت آلين.

«هل قلت إن إصابتها سيئة؟»

«أنفها ورأسها على ما يرام... وهي لم تشك كثيراً من ذراعها. ولكن أعتقد أنها ستؤلمها أكثر فيما بعد».

استمرت تنظر إليه شاعرة بشيء من الراحة، لأن هذه كانت أول مرة يتكلّم فيها معها بطريقة مهذبة، منذ ذلك اليوم عندما كذبت عليه وأخبرته أن جنكس ابنتها.

«ماذا وضعت على ذراعها؟»

«دواء وجدته في أنبوبة في خزانة الأدوية. وقد أراحها على الفور».

«إن لدي دواء ممتازاً للتسلخات. ليتك أخبرتني... في كل حال سننتظر ونرى ما يحدث. يجب ألاّ تذهب للمدرسة غداً حتى لا يرتطم بها أحد الأطفال».

كانا قد سارا إلى أول السلم. وكان سيمون طويلاً وأنيقاً في حلة رمادية فاتحة من الموهير، و آلين صغيرة ورقيقة بجانبه. تذكرت الوصف الذي كانت خالتها قد ذكرته عن الرجال الكريتيين... رجال كالصقور أكثر كبرياء وطولاً واستقامة من كل اليونانيين، يسيرون بخطوات... واسعة ويتحركون كالملوك في طرق يمهدها الآخرون لهم. وعلى الفور انتقلت ذاكرتها إلى مشاهد على الباخرة، نظرات الحسد التي كانت تلاحقها. كلمات دونا عندما قالت:

«إنه ذلك النوع من الرجال الذي لا تستطيعين رفع عينيك عنه. ولذلك فإن كل الفتيات على ظهر الباخرة تغرن من اهتمامه بك...»

أي عالم من السعادة الخادعة عاشته في تلك الفترة القصيرة؟ وفكرت آلين والألم يعتصر قلبها... سيمون الحبيب الرقيق والرفيق الودود، والصديق الكريم الذي اشترى لها كل ما تشتهيه وأكثر. كان كل هذا ملكها وهي تعتز بهذه الذكريات برغم أنه من ناحيته كان يحاول كسب ثقتها ليغريها للذهاب معه في

اليخت.

وخلال الأمسية لاحظت آلين نظرات زوجها المتكررة. وعندما كانت تنظر إلى عينيه كانت في كل مرة ترى فيهما التفكير والاكتئاب، فيم كان يفكر متطلعاً إليها هكذا؟ هل كان الكره هو العاطفة الغالبة؟ إن الكريتيين يكرهون بشدة. وماذا عن الحب؟ هل يحبون أيضاً بنفس القوة؟

بعد أن انتهى العشاء وكان الأزواج الثلاثة يجلسون في الفناء يشربون القهوة، حضرت جنكس فجأة بقميص نومها المزركش ووجهها مغمض وعيونها منتفخة من البكاء. وكانت تمسك بذراعها وهي تبكي ثم سارت ناحية آلين التي قامت من كرسيها لتذهب إليها.

اتجهت كل العيون إلى جنكس وابتسم الضيوف الأربعة للطفلة فيما عدا وجه سيمون الذي كان جاداً وكذلك آلين.

«ما الخبر يا حبيبتي؟ هل يؤلمك ذراعك؟»

هزت رأسها بالايجاب:

«حاولت أن أتحمل يا أمي ولكني لم أستطع. أنت لست غاضبة لأني نزلت ولديك ضيوف؟»

وطافت نظرتها بالحاضرين:

«إنها تؤلمني بشدة».

واعتذرت آلين للضيوف وحملت جنكس بين ذراعيها. ولكن لدهشتها الكبيرة وقبل أن تفهم آلين ما يريد. أخذ منها جنكس واعتذر للضيوف وحملها داخل المنزل ثم على السلم و آلين تتبعه وقد حيرها تصرف زوجها غير المتوقع ولكنه أسعدها اهتمامه بالطفلة.

«ستجدين أنبوبة بيضاء في خزانة الأدوية في حمامي».

قال على الفور لآلين التي دخلت وراءه إلى غرفة نومها. أجلس الطفلة على السرير وراح يفك الأربطة التي ربطتها آلين من بضع ساعات.

«احضر بها».

عند عودتها وقفت آلين لحظة على الباب. كان سيمون يفحص الجرح بينما كانت جنكس تنظر إليه بعينين واسعتين بانبهار طفولي، وبينما كانت آلين تراقب، رفعت الطفلة وجهها وقربته من وجه سيمون وكادت تطبع على خده قبلة مبتلة. ولكنها نظرت فرأت أمها. فقالت وهي تبتسم:

«كان الرباط ملتصقاً يا والدتي...ولكن السيد...السيد...ولكن والدي رفعه بدون أن يؤلمني...»

لم تستطع آلين أن تتكلم من شدة تأثرها من هذا المنظر. نظرت في عيني سيمون وهي تناوله أنبوبة الدواء فلمحت النظرة الغريبة التي نظر بها إليها والنبض في رقبته.

«الأربطة في الطابق السفلي، اذهبي وأحضر بها...ستخبرك كيريا عن مكانها».

كان من الواضح أنه يريدها أن تذهب، قطبت جبينها في حيرة. لم يضايقها أن تذهب لتحضر الأربطة بنفسها بل بالعكس. ولكن من الغريب أن سيمون لم يطلب منها أن تدق الجرس لكيريا حتى يعطيها تعليماته لتحضر الأربطة المطلوبة. تأخرت آلين هذه المرة أكثر وعند عودتها وجدت جنكس تجلس على ركبة سيمون وهو يجلس على السرير وقد لفت جنكس ذراعها غير المصابة حول رقبته وأسندت رأسها الصغير على صدره.

«إن ابنتك هذه سريعة الحركة».

قالها بدون تأثر ولكن آلين شعرت بالاثارة، قالت آلين بارتباك وبضحكة مفتعلة:

«كانت دائماً تأمل أن تجلس على ركبة رجل. لقد كان هذا طموحها من فترة».

«وقد حققته الآن».

قال سيمون ذلك وبدون أن ينظر إلى آلين أخذ المرهم من يدها ووضعه بمهارة على الجرح.

«ها أنت يا آنسة...هل تشعرين بتحسن الآن؟»

حملها برقة بعيداً عنه لينظر إليها. كانت عيناها الواسعتان تلمعان وطبعت على فمه قبلة صغيرة.

«نعم أشكرك بشدة».

نظرت إلى آلين وقالت:

«سأذهب غداً على مركب والدي لنزهة طويلة. هل ستأتين معنا؟»

ثم نظرت لسيمون:

«أنا لا أريد أن أذهب بدون والدتي، لم تقل إذا كانت تستطيع أن تأتي معنا؟»

«سنتكلم في هذا صباحاً. أما الآن فعليك الذهاب إلى النوم. هل تفهمين؟»

هزت جنكس رأسها بسعادة. كانت تحاول أن تبقى مستيقظة بصعوبة نظر سيمون إلى آلين وطلب منها أن تذهب للضيوف:

«ما كان يجب أن نتركهم نحن الاثنين».

وخرجت آلين على الفور من الغرفة بعد أن قالت لجنكس تصبحين على خير. ولكن جنكس لم ترد لأنها كانت مشغولة في الكلام مع سيمون. وتلقائياً وقفت آلين قليلاً خارج الباب الذي لم تغلقه. قالت جنكس:

«نعم سأذهب للنوم. يجب أن أكون عاقلة الآن...أليس كذلك؟ ولا أقول الكلمات السيئة...يجب أن يكون المرء عاقلاً من أجل الآباء لأنهم رجال، إن داريل عاقل من أجل والده الجديد كما أخبرتك عندما كانت أمي في الطابق السفلي...وأنا أيضاً قلت لأمي سأكون عاقلة من أجل والدي إذا أحضرت لي واحداً...وسأكون عاقلة كما سترى...»

«من الأحسن أن تكوني عاقلة».

قال بصرامة مفتعلة، مما أخاف آلين. أما جنكس فضحكت بنعاس، فشهقت آلين مندهشة لأنها لحظت الرقة التي وراء هذه اللهجة الصارمة، ما الذي حدث أثناء غيابها من الغرفة. يبدو أن معجزة حدثت في هذه الدقائق.

«تعالي أيتها الآنسة الصغيرة... إلى السرير».

تلا ذلك صمت وافترضت آلين أنه يضعها في السرير. ثم قال سيمون للطفلة تصبحين على خير فاتجهت آلين ناحية السلم. إلا أنها سمعت الطفلة تقول:

«تصبح على خير يا والدي، كم هو لطيف أن يكون للمرء والد».

ثم أضافت جنكس:

«اغابي مو ساغابو».

توقفت آلين وأعصابها ترتعد. إنها تنسى الكلمات التي همس بها سيمون لها وهو يضع خاتم الزواج في أصبعها. ماذا تعني هذه الكلمات. إنها تعلم الآن أنها لا علاقة لها بالرغبة كما اعتقدت في ذلك الوقت.

«أين سمعت هذه الكلمات؟»

سألها سيمون. فأجابت جنكس وهي تضحك مرة أخرى:

«قالها لي ستافروس ديمتري، إننا سنتزوج عندما نكبر... يا حبيبتي، إنني أحبك...»

كانت آلين متأكدة أن عيني جنكس تفيضان بالشقاوة... وأغمضت آلين عينيها بشدة، إذن فهذا هو معنى الكلمات؟ لقد فهمت كل شيء الآن، الشعور بالحزن والوحدة الذين رأتهما في عينيه، ثم حيرتها عندما كانت تفكر في حضوره إلى انكلترا وطلب الزواج منها فقط من أجل رغبته فيها. كم كانت غبية. إن سيمون يحبها، وكل ما فعلته هو إيلامه ودفعه للاعتقاد بأنه أفسد حياته بالزواج منها. إنه لن يغفر لها. إنه لا يستطيع.

لا تعرف كيف انتهت الأمسية. وعندما انصرف الضيوف أخيراً لم تستطع أن تقول شيئاً مما كان يدور في ذهنها، بل قالت له تصبح على خير بطريقة جافة نوعاً، واستدارت لتذهب وقد وقف هو بظهره إلى النافذة المفتوحة التي يسري منها صوت البحر المعتاد، الصوت الوحيد الذي كان يقطع سكون الليل.

«ابقي حيث أنت».

كان صوته آمراً وقاسياً. وقفت آلين وعادت للغرفة وقلبها يدق.

«إن لدينا كلاماً كثيراً».

طرفت عيناها وقطبت بحيرة:

«حقاً؟»

قال على الفور:

«ما الذي تقصدينه بقولك لي أن جنكس ابنتك؟»

قفزت بعصبية وسعلت لتسلك حلقها:

«هل عرفت؟»

لم تندهش كثيراً فقد تذكرت النظرات الغريبة التي كان يوجهها لها وهما في الغرفة العليا مع جنكس. لقد اكتشف شيئاً ما أثناء غيابها وكان يريد أن يستكمله لذلك أرسلها مرة أخرى لتحضر الأربطة بدلاً من أن يطلب منها أن تدق الجرس للخادمة. لمعت عينا سيمون:

«هل تدركين ما أنقذت منه؟»

للحظة عابرة رأت الكريتي المتوحش بوقفته القاسية وعينيه السوداوين المعدنيتين المهددتين:

«لو كنا بمفردنا لخنقتك».

سكت لحظة لتعلّق على كلامه ولكنها لم تقل شيئاً:

«لقد سألتك ماذا كنت تريدين بتلك الكذبة الشنيعة؟»

بللت شفتيها:

«كانت... كانت للانتقام...»

«من أي شيء؟»

«لأنك أهنتني وأخفتني... كنت أريد أن أنتقم من أي رجل لما فعله بي والد جنكس».

أمر غير منطقي، لم تكن آلين محتاجة لأن ترى تعبيره لتفهم ذلك.

«إذن كان علي أن أدفع ثمن هذا أيضاً».

هز رأسه كما لو كان تصرفها يحيره بشدة:

«أخبريني عن والد جنكس، وكيف حصلت على الطفلة؟»

كان صوته رقيقاً مما شجع آلين على أن تسأله كيف اكتشف أن جنكس ليست ابنتها. فأخبرها بأنه كان يراقب جنكس من مدة وبالتدريج شعر بالحيرة لانعدام الشبه بتاتاً بينها وبين آلين... قاطعته آلين بدهشة:

«هل كنت تراقبها؟ لقد شعرت أنك تتجاهلها تماماً».

ابتسم قليلاً:

«إن المرء لا يستطيع أن يتجاهل طفلة مثل جنكس يا آلين. لقد لحظت كم هي جذابة، وستكون أشد سحراً عندما أتولى تربيتها.»

«هل ستفعل؟ أعلم أني لم أكن حازمة بما فيه الكفاية. ولكن الخالة سو كانت دائماً تقول إنها تحتاج لرجل».

نظرت آلين بامتنان، قال سيمون ضاحكاً:

«تعتقد أنها تحب أن تكون عاقلة من أجل رجل، إنها شيطانة ولكنها طفلة ممتعة في كل حال».

ثم أخذ يشرح لها كيف أنه بالأمس رأى جنكس تكتب اسمها وكانت تكلم نفسها وتقول إنها يجب ألاّ تنسى اسم مارسلاند.

«بالطبع لم يكن هذا يثبت شيئاً ولكنه أثار شكوكي. وهذا المساء عندما كنت في غرفتي تبحثين عن المرهم لاحظت كتاب صور على الطاولة بجانب السرير، وعندما فتحته لاحظت أن اسم مارسلاند أضيف بحبر مختلف فسألت جنكس وعندما عدت بأنبوبة المرهم لم أكن قد انتهيت من سؤالها».

«لذلك أرسلتني مرة أخرى للطابق الأرضي لأحضر الأربطة».

«نعم، وأخذت جنكس تتكلم فشعرت أننا سنصبح أصدقاء، لذلك لم يكن

عسيراً أن أعرف منها ما أريد، لقد أخبرتني أنك أخيراً...أخيراً جداً...»

وأضاف وهو يصر على أسنانه وعيناه مثبتتان على وجهها:

«...طلبت منها أن تضيف اسم مارسلاند إلى اسمها».

كان ينظر إليها بصرامة فحولت وجهها. وبدأت بسرعة تحكي له كيف أخذت جنكس في البداية. عندما نظرت إليه بعد أن فرغت من قصتها كانت تنتظر منه نظرة ازدراء لسذاجتها التي جعلتها تنخدع. ولكن لدهشتها وجدت تعبيراً مختلفاً تماماً. وكان صوته رقيقاً وعطوفاً.

«سبعة عشر عاماً...كنت لا تزيدين كثيراً عن طفلة. هل فكرت عندما تركك والدها وهرب، أن تسلمي جنكس للمسؤولين؟»

هزت رأسها بقوة:

«لم أكن أستطيع ذلك، كنت أحبها بشدة. وبرغم أنك قد تعتبرني مغرورة إلا أنني أعتقد أن جنكس ما كانت لتعيش سعيدة بنفس الدرجة لو تبناها أي شخص آخر غيري والخالة سو بالطبع».

وأخذت آلين تحكي لسيمون مشكلتها الحقيقية عندما رفض الجيران أخذ جنكس، كان ذلك لحد ما لتبرير تصرفها بطلب النقود من سيمون. ولكنه لو كان قد فهم ماتقصده، فإنه لم يعلق عليه ولكنه قال بجفاف:

«بالطبع كانت سعيدة معك لأنك تركتها تفعل ما تشاء».

«ليس دائماً...إنها ليست سيئة جداً حقيقة».

وابتسم سيمون بمرح فحبست آلين أنفاسها، إنه يكاد يكون لطيفاً كما كان على الباخرة، ولكن ليس تماماً لأن عينيه كانتا مازالتا تعبران عن بعض النقد والعتاب.

«إلى متى كنت تظنين أنك ستستطيعين خداعي؟»

«بالنسبة إلى جنكس؟ ليس طويلاً».

واعترفت ببساطة، ولكن لفزعها رأت فمه ينقبض:

[illegible] أسد اديك لكل هذا الغباء. وكذبت عليَ أيضاً عندما قلت أنك لم تحبيني على الباخرة. كنت أعلم جيداً أنك وقعت في حبي لذلك دهشت عندما أنكرت ذلك »

وسكت ثم خطا إلى وسط الغرفة وقال آمراً ولكن برقة جعلت الدموع تملأ عينيها:

«تعالي إلى هنا».

فذهبت إليه فأمسك يديها.

«لماذا تظنين أني ذهبت لانكلترا أيتها البلهاء؟ لقد اكتشفت بمجرد أن رحلت من كريت أني أحبك، ولكني ظننت أنني سأتغلب على ذلك. إن الزواج لم يكن محبباً إليَ. ولكني بعد قليل شعرت أني لا أستطيع أن أستغني عنك...نعم...أعلم ما ستقولينه، إنها الرغبة، نعم ولكن ليس ذلك النوع الذي تفكرين فيه».

«لا...إني أدرك ذلك الآن».

وأخبرته بما سمعته ثم همست بتردد وخجل:

«اغابي مو ساغابو».

على الفور ضمها إليه بحنان...وهمس بعد قليل:

«يا حبيبتي...إني أحبك...»

وابتعدت آلين عنه وقالت:

«لماذا لم تقلها لي بالانكليزية يا سيمون؟ وإذا كنت حضرت لأنك تحبني وتريد أن تتزوجني لماذا لم تقل لي ذلك على الفور؟»

ورفع حاجبيه وقال:

«لأني قبل أن أستطيع أن أقول لك أي شيء قدمت لي مطالبك الاجرامية. هل تذكرين؟»

احمرت من الخجل ونظرت إلى أسفل. واستطرد هو قائلاً:

«في كل حال لقد رتبت الأمور كما أريد...بعد أن استنتجت أن هذه الفكرة كانت

فكرة استيل وفي الواقع أنك أعترفت أنكما تناقشتما في الأمر وكنت أريد أن أخبرك ولكنك أنكرت حبك لي... شعرت أنك تكذبين وأن كل شيء سيكون على ما يرام عندما تعودين معي إلى كريت. كنت سأعلم على الفور أنك تحبينني، أليس كذلك يا آلين؟»

ازداد احمرارها ولكنها وافقت على كلامه وقالت:

«كنت أفكر في أن أقول لك الحقيقة منذ فترة».

ثم أضافت أنها لم تفعل لأنها كانت تعتقد أن اهتمامه الوحيد بها كان لرغبته فيها وهي لا تستطيع أن تكون ذلك النوع من الزوجات. وتجاهل كلامها هذا لأنه لم يكن كلاماً هاماً إذ لن تكون أبداً ذلك النوع من الزوجات.

وكان مازال هناك الكثير الذي يجب توضيحه من الجانبين. ولكنهما يريدان في الوقت الحالي أن يكونا فقط قريبين من بعضهما. وقفا متعانقين للحظة. ثم قال سيمون:

«لماذا لم تجدي غرفة أخرى لابنتنا قبل الآن؟»

وبدون أن ينتظر جوابها استطرد:

«ألا تظنين أنها ستكون أفضل في سريري؟ إنه أصغر... ولكنها قد تستيقظ إذا حركتها».

«لن تفعل. جنكس لا تستيقظ أبداً بعد أن تنام. تستطيع أن تحملها».

ثم لاذت بالصمت وقد دفنت وجهها في سترته لأنه كان يضحك منها من كل قلبه...

الباقة المقبلة من عبير

آن ميثر

عاطفة من ورق

من يستطيع الجزم بأنه لن يقع في الحب مرة ثانية وثالثة. بعضنا يردّد بيأس مؤكداً موت قلبه بعد فشل حبه الأول... وبعضنا الآخر يعتقد اعتقاداً راسخاً بأن عواطفه انكسرت الى الأبد، ولا أمل من عودة قلبه إلى الخفقان...

لقد انتهيت... هكذا يصرخ العاشق ممزقاً بآلام الخيبة، مرتمياً بحزن في أحضان التفاصيل الصغيرة.

ولكن من منّا يعرف متى تهبّ نسمة فتزيل الضباب المتراكم فوق سهول القلب؟ ربيكا جرحها الحب الأول من رأسها حتى أخمص قدميها. شلّتها الصدمة، وشرّدتها رياح الغربة لتعمل ممرضة في الفيللا التي تخص أديل سانتا كلير على شاطىء المحيط الهادىء، حيث التقت بيير وأحبته، ولكن ابنه بول أحبها وطلبها للزواج. أما أديل فكانت تحيك الأفكار الأنتقامية المدمّرة...

لمن تستسلم ربيكا. للحب أم للحقد أم للزواج؟



رابيكا كاين

البحر الى الأبد

كان والدها كل شيء في حياتها. ماتت أمها فتولى الأب رعايتها واحتضانها وأبقاها معه في تاهيتي رافضاً نصائح جدّيها بارسالها إلى انكلترا لتعيش في كنفهما...

وهكذا نشأت تينا وترعرعت في الجزر الاستوائية، يقبع في صدرها حنين دائم إلى شيء ما تجهله، وخوف مقيم في المستقبل المجهول. كانت مغامرتها الأولى مع بيار الشاب الفرنسي الذي يهوى الايقاع بالنساء في حبائله... ثم وضع القدر في طريقها رجلاً قوياً غامضاً هو ماكس ثورنتون، عاملها كما يجب أن تعامل ، فتاة صغيرة ساذجة تحتاج إلى تجارب كثيرة قبل أن تنضج. وشاء القدر كذلك أن يختفي والد تينا الرسام جان ريمون في البحر، وأن يبعث جدّاها إليها برسالة يطالبان فيها بعودتها إلى انكلترا. وهكذا عادت الحيرة والارتباك والتردد تسيطر على تينا. هل ترحل إلى انكلترا؟ هل تتخلى عن كل أحلامها في تاهيتي؟ و بيار و ماكس ووالدها الضائع في مكان ما من المحيط الشاسع!

ثم هل تستطيع الفتاة الساذجة المترددة أن تتخذ قرارها النهائي، أم أنها ستترك هذه المهمة الشاقة لغيرها؟

